سورة الشعراء سورة النمل سورة القصص سورة العنكبوت سورة الروم سورة لقمن

سورة السجدة سورة الاحزاب سورة السبا سورة الملائكة سورة يس سورة الصافات

سورة ص سورة الزمر سورة الطول (مومن) سورة فصلت (سجدة) سورة الشورا (عسق) سورة الزخرف

سورة الدخان سورة الجاثية سورة الاحقاف سورة محمد سورة الفتح سورة الحجرات

سورة ق سورة والذاريات

٢٤

من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب

٢١٧

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP P. ÇA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 159/3

RAĞIP P.
Ka. N
216
217

سورة الشعراء وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون وهي مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب
المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن و
والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين البخع أن يبلغ بالذبح النخاع بالنون وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك
أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك أن لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا ولامتناع
ايمانهم او خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ان نشأ ننزل
عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين اراد آية ملجئة الى الايمان
قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان
صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ
فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت
اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام
على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كأن الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع
الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم
ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل هم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل
من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج
منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني
امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة
وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم انباء
ما كانوا به يستهزئون اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا

عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهي
الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض
كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم
قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه
كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له
فسيأتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيامة
ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية
عليهم أولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكريم
والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله
وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من
كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع
ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله
ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من
الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم
وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج
النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى
الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت ما معنى وصف الزوج بالكريم
قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت
في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات
نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة
لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل
الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة

وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان فى ذلك لآية وهلا قال لآيات
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان
فى الانبات لآية اى آية والثاني ان يراد ان فى كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت
لهذا الوجه نظائر وَاِذْ نَادٰى رَبُّكَ مُوسٰى اَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ اَلَا
يَتَّقُوْنَ سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى
القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عباراتان تعتقبان على مؤدى واحد
ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا
الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبنى اسرائيل باستعبادهم
قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء
للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف
اتبعه الله عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام
من حالهم التى شنعت فى الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم
من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير فى الظالمين اى يظلمون غير
متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب
فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى
من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجانى حاضر فاذا اندفع فى الشكاية
وحر مزاجه وحمى غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجانى يوبخه ويعنف
به ويقول له الم تتق الله الم تستحى من الناس فان قلت فما فائدة هذا الالتفات
والخطاب مع موسى عليه السلام فى وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون
قلت اجراء ذلك فى تكليم المرسل اليهم فى معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم
لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى
وكم من آية انزلت فى شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا
بموردها وفى الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون

كقوله الا يسجدوا قَالَ رَبِّ اِنِّيْ اَخَافُ اَنْ يُّكَذِّبُوْنِ وَيَضِيْقُ صَدْرِيْ وَلَا يَنْطَلِقُ
لِسَانِيْ فَاَرْسِلْ اِلٰى هٰرُوْنَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَاَخَافُ اَنْ يَّقْتُلُوْنِ ويضيق وينطلق
بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما فى المعنى
ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق
اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت فى النصب تعليق
الخوف بالامور الثلثة وفى جملتها نفى انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هى غم
يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد
علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة فى اللسان زائدة
على ما كان به على ان تلك الحبسة التى كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها
بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى انى خائف
ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة
واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذى بقى به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة
من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال
وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله تعالى واخى هرون
هو افصح منى لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وآزرنى
به واشدد به عضدى وهذا الكلام مختصر وقد بسطه فى غير هذا الموضع وقد احسن فى
الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله فى
تقصير الطويلة والحسن قوله عز وجل فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفى القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير
ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد
الله الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى
عليه السلام ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل
وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده

باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه
ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال
الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل ؞ اراد بالذنب قتله القبطي
وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل
فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة
سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه
فما قولك في الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل
قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد
بالكلاءة والدفع قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون جمع الله سبحانه له الاستجابتين
معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس
منه الموازرة فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان
قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل
ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد
انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما
وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا
ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى
يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان
الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه
وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث
قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين
فان قلت هلا ثني الرسول كما في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى
الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية

فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو
صوم وزور قال ألكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد
في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ار
سلتهم برسول ؞ ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة
واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد
منا ان ارسل معنا بني اسرائيل ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول
معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول
كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك
ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما
انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم
انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف
موسى فقال له الم نربك فحذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا
النوع من الاختصار كثير في التنزيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين الوليد الصبي لقرب عهده
من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم ؞ سنين قيل مكث عندهم
ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله
اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة
وهي ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمه من
تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك
وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي
قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد
افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد
ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت

من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل
خواص النعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين كانوا
يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك
وقرئ والاهتك قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي
ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل فاجابه
موسى عليه السلام بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي من الجاهلين
وقراءة ابن مسعود رضه من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل و
السفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون
او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين
من قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر
عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة
عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله من
سنخه وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد
بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته
فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا
يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال علام يعبدني قومي وقد كثرت
فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان فان قلت اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع
جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك
جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده
جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده
في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد
فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة

شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره
قوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة
علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم قال فرعون
وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن
حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لا
جعلنك من المسجونين لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له
عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما
ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما
يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام
والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء
هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيشه
عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت ماري فاجاب بان الذي اليه سبيل وهو الكافي
في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن
حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت
غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا
لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه
من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز
به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها
غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير فان قلت كيف قيل وما بينهما على
التثنية والمرجع اليه مجموع قلت اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر
من قال في الهيجا جمالين فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون

وبلا يقه الايقان قلت معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى اليه النظر
الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع قط او ان كنتم موقنين بشىء قط فهذا اولى ما
توقنون به لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل
كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات
والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك
وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم وآباءهم
لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل
على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة ومن حال الى حال من وقت ميلاده الى وقت
وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها
فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره
انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان
فبهت الذى كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذى ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت
كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا فلما راى منهم
شدة الشكيمة فى العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم
لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك
من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا
لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته ان يأخذ من
يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها
ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد قال اولو جئتك بشىء مبين قال فأت
به ان كنت من الصادقين الواو فى اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة
الاستفهام معناه اتفعل بى ذلك ولو جئتك بشىء مبين اى جائيا بالمعجزة وفى قوله ان
كنت من الصادقين انه لا يأتى بالمعجزة الا الصادق فى دعواه لان المعجزة تصديق
من الله تعالى لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون

لم يخف عليه هذا وخفى على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى
لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين فى دعواك اتيت به
فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ثعبان
مبين ظاهر الثعبانية لا شىء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة و
التسحير وروى انها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذى ارسلك الا
اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين للناظرين دليل على
ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روى
ان فرعون لما ابصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك
فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق قال للملأ
حوله ان هذا لساحر عليم فان قلت ما العامل فى حوله قلت هو منصوب نصبين
نصب فى اللفظ ونصب فى المحل فالعامل فى النصب اللفظى ما يقدر فى الظرف والعامل
فى النصب المحلى وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الآيتين وبقى لا
يدرى اى طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء
الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه
الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه
واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت
اذا غلب ومتمحل اذا الزم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون تأمرون من
المؤامرة وهى المشاورة او من الامر الذى هو ضد النهى جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا
لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه فى معنى المصدر
واما لانه مفعول به من قولك امرتك الخير قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين
يأتوك بكل سحار عليم قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته
وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون

ثم مرجون لأمر الله والمعنى أخروه ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حا
شرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم بكل سحار عليم
فجاؤا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الأعمش
بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى
لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اى حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت
الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع
والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان
يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف
ومنه قول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبع السحرة اى في دينهم اى ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم
باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم
اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان
كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان
قوله ان لنا لأجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين
معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب
والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى
القربة عنده والزلفى قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية في
هكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او
صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال
الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت

ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب
في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله
كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به
فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف فالقى موسى عصاه فاذا
هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته
بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه
على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى
سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا
به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور
بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة
انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطر
حوا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم
من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجز الباهر ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى
خروا وسقطوا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون رب موسى وهرون عطف
بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته
اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال آمنتم
له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا اول المؤمنين فلسوف تعلمون اى وبال ما فعلتم الضر والضير والضور
واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه
لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما
تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت
والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى

ربنا الغلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر
لا تحوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين
من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط
الذي يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره
قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الى موسى ان
اسر بعبادي انكم متبعون قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل
الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم
على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم
فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم
حتى خرج بقومه وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات
في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا
بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر
بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء
لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فارسل فرعون في اثره
الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في اثره جمع عظيم وكا
سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في
الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين
الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة و
منها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا
بالوصف ثم جمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة
العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج

علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا
يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير
المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح
وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال
احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم اقوياء
اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في
طاعة الله تعالى والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك
المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين
كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر
على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ
محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت
الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا
لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم و
قرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء اذا تتابع
ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وقال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه
بيت الحماسة ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجي الحياة ام من الموت اجزع
والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد فاوحينا الى موسى ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن
معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل
العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اي قربناهم
من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى

وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله: تداركتما عبسا
وقد ثل عرشها * وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل * ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر
على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب أن جبريل كان بين
بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط
فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى عليه السلام إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون
وكان بين يدي موسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت
بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله عز وجل إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه
فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق * وروي أن يوشع قال له يا كليم الله أين أمرت
فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى
بعصاه البحر فدخلوا وروي أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون
لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء
مصر يقال له إساف * إن في ذلك لآية أي آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع
أمرها فيهم وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى عليه السلام
المخصوصين بالإنجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة * وإن
ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه * الرحيم بأوليائه * واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه
وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين كان إبراهيم صلوات الله عليه
يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في
شيء كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال
فإن قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله
ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا
قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت
على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا
على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار

ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الأتحمي فأجر ذيله بين جواري الحي وإنما قالوا نظل
لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون
لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم
أي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع إيقاعه في إذ على
حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل
سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم
ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين لما أجابوه بجواب المقلدين
لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين الأولين من
آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم
وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولأن المغري على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان
وإنما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها
عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح
بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه
وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال
فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح
ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي
رضي الله عنه أن رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب وسمع رجل
ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد
والجماعة قال * وقوم علي ذوي مئرة * أراهم عدوا وكانوا صديقا * ومنه قوله تعالى وهم
لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل * إلا رب العالمين استثناء
منقطع كأنه قال لكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا
مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين فهو يهدين يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه

الروح عقيب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه إلى
أن يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة وإلى
معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد
وإنما قال مرضت دون أمرضني لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان
في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم
لقالوا التخم [والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين] وقرئ خطاياي والمراد ما يندر
من الصغائر لأن الأنبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله إني سقيم وقوله
بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وما هي إلا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست
خطايا يطلب لها الاستغفار فإن قلت إذا لم يندر منه إلا الصغائر وهي تقع
مكفرة فلم أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له قلت الجواب ما سبق
لي أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم
القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب
المغفرة مما يفرط منهم فإن قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في
الدنيا قلت لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم [رب هب لي حكما]
[وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم] الحكم
الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله و
الإلحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة
ولقد أجابه حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين [واغفر لأبي إنه كان من الضالين ولا]
[تخزني يوم يبعثون] ولا تخزني من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا
أيضا من نحو استغفارهم لما علموا أنه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير
الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون
وأبي فيهم [يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم] إلا حال
من أتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحيته بينهم ضرب وجيع وما ثوابه إلا السيف وبيا

أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين
عنه وإثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم
لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه ولك أن تجعل
الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة
القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين لا
ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد
جعل من مفعول ينفع أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه
في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا
إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته
من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في
الإخلاص أن حكى استثناءه هكذا حكاية راض بإصابته به ثم جعله صفة له في قوله
وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم
السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم وأسلم وسالم واستسلم
وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون
سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا
عن أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلا
فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة
من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأواب ثم
وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من
الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا
[وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم]

أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون الجنة تكون قريبة من موقف السعدآء ينظرون
ويغتبطون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم
يتحسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال
فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اجتمع عليهم الغموم كلها والحسرات فيجعل النار
بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم
بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا
فيها هم أي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب
جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة
حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم
فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون
وجنود إبليس شياطينه أي مطيعوه من عصاة الإنس والجن يجوز أن ينطق الله
الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد
بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا
السبيلا وعن السدي الأولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل
لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فما لنا من شافعين
كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في
الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الأخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا
نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان
لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء
لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم
المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو
الصديق الخاص فإن قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء

في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة
من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم تسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق
وهو الصادق في وداده الذي يهمه ما أهمك فأعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء
أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع فلو أن لنا
كرة فنكون من المؤمنين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
الكرة الرجعة إلى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة
وذلك لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف
الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا
تتقون القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام
قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبرد وقيل أخوهم
لأنه كان منهم من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون كان أمينا فيهم مشهورا بالأمانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش
وأطيعون في نصحي لكم وفيما أدعوكم إليه من الحق وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا
على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون عليه على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه يعني دعاءه ونصحه
ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في
نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وفي الثاني
حسم طمعه عنهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم
إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح
لتكونن من المرجومين قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من
المؤمنين وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال و
الواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى التكسير
في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم لاتضاع

تسبيهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة
والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب محمد صلعم وما زالت
اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا
سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت
اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن
مقاتل السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه
على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم
يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الا الذين
هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذا[له]
عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه
على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم
وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا
مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك
رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا
فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني
ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي
الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم
بشانكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني
لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك
ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق
كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا
بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الفلك
السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع

بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب
والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان
وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام
والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجلا كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وقرئ
بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها في
ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها آية علم وكا
نوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم
كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء
وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم
حال من يخلد وفي حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم
بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون واذا بطشتم بسوط
او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن
الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب امدكم بانعام و
بنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث
اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما
تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل
عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله
نفسه والله رؤف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين
يعينونهم على حفظها والقيام عليها قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فان
قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما
فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه

نهوا إليهم في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين
فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم
من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا
أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما
ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن
عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون
أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم تزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما
هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه كذبت
ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم أتتركون يجوز أن يكون إنكارا لأن يتركوا مخلدين
في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات
وغير ذلك مع الأمن والدعة فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله
في جنات وعيون وهذا أيضا إجمال ثم تفصيل فإن قلت لم قال ونخل بعد قوله في
جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما تتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج
حتى أنهم ليذكرون الجنة ولا يريدون إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل
قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله
في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر
لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه
شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف
الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك
طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه
لأن الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة

المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا
قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره وتنحتون من
الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين وقرأ الحسن
وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل
فرهة استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الأمر مطاعا
على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي إمرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمري
الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت
بآية إن كنت من الصادقين فإن قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته أن
فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة
ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة
وأنه بشر قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب يوم عظيم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت
وقرئ بالضم وروي أنهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا
فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة
وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا
هو ستون ذراعا وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم
تشرب فيه الماء بسوء بضرب أو عقر أو غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف
اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد
فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن
ربك لهو العزيز الرحيم روي أن مسطعا ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب
رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين
فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فإن قلت
لم أخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا

على الغضب عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الأمور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر
كندامة الكسعي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب
وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك
الولد وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم كذبت قوم لوط المرسلين
إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه
من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم
من أزواجكم بل أنتم قوم عادون أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم على
فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الإناث
قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم
لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من
أزواجكم يصلح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح
منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم
العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها
بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذلك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا
بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح أمرنا لتكونن من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه
من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوء حال من تعنيف به واحتباس أملاكه
وكما تكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة
قال إني لعملكم من القالين ومن القالين أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء
فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته
لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي
الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى
وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى يتقرب كراهته للعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني وأهلي

مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين مما يعملون من
عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يراد بالتنجية العصمة فإن قلت فما معنى قوله
فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا قلت معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها
كانت غير معصومة لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في
حكم العاصي فإن قلت كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف
استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم
شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان فإن قلت في الغابرين صفة لها
كأنه قيل إلا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزا
مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين وأمطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو
العزيز الرحيم قيل إنما أهلكت في من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد
تدميرهم الائتفاك بهم وأما الإمطار فعن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة
من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل
ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم
وهو مطرهم كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين قرئ أصحاب الأيكة
بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة
بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه
السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس
الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب
النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن
على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب
شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فإن قلت هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع

قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين
ارسل اليهم والى اصحاب الايكة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس
المستقيم الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو
الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر
والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما
ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت
العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يقال
بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد
ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه
تصرفا شرعيا يقال عثى في الارض وعثا وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة
واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة
بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك
والخلق الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين
فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا ادخلت
الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول
لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا فاذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد
وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها
كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر
كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا
والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا
كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون وقرئ كسفا بالسكون والحركة
وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة

وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب
ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا
انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم
باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل
وان اراد عقابا باخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب
يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فاخذهم الله
بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف
بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم
لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة و
جدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا
بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل و
اصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل
قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما
في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم
بما اختتمت صاحبتها ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور
الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده
كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه
القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت
بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا
او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه ان
هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل
به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك

نزل به الروح

اى حفظتك وفهمك اياه واثبته على قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقريك فلا تنسى بلسان
اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة
هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم واما ان يتعلق بنزل فيكون
المعنى نزله باللسان العربى لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمى لتجافوا عنه اصلا ولقالوا
ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التى هى لسانك
ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك
دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة
لغات فاذا كلم بلغته التى لقنها اولا ونشا عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معانى الكلام
يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا
بمعرفتها كان نظره اولا فى الفاظها ثم فى معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان
عربى مبين وانه لفى زبر الاولين وان القرآن يعنى ذكره مثبت فى ساير الكتب السماوية
وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلوة على
ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفى زبر الاولين لكون معانيها
فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك فى ان يعلمه وليس بواضح اولم يكن لهم آية
ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقرئ
يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت
آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج
لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل فى تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع
الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هى جملة الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب
الآية تانيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها و
كانت عادة منه اذا هى عردت اقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بنى اسرائيل عبد الله
بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله
مسلمين فان قلت كيف خط فى المصحف علمؤا بواو قبل الالف قلت خط على لغة

من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذى لا يفصح
وفى لسانه عجمة واستعجام والاعجمى مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقراة
الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمى
شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذى صوت من البهايم والطيور وغيرها اعجم قال
حمید ولا عربيا شاقه صوت اعجما كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربى
بلسان عربى مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام
مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله
وتحلية المنزل عليه وصفته فى كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها
من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا
اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية
فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا
ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اى مثل هذا السلك سلكناه
فى قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب
له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اى وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا
عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب
الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا فى قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله
بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح
فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به
اليهم على عقيبه وهو قوله لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه
فى قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا

في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد
ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة
وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة فإن قلت ما معنى التعقيب في
قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته
وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن
حتى يكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو
سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك
الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين
فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه
أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو
معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين فلا
يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون
على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب
إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة
وأمن فقال عز وعلا أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل بل
الطويل ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد
بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران
أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية
فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون
ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون
منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر متقاربان
فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة
وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ

محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى
لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له
والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم
ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير
ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فإن قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل
عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم قلت الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة
لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم كانوا
يقولون إن محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا
بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن
استماع كلام أهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين
وفلسطين فتخير بين أن يجري الإعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين
والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين
وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ
في قراءته الشياطون ظن أنها النون التي على هجاءين فقال النضر بن شميل إن جاز
أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن
السميفع مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون
من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك
فقل إني بريء مما تعملون قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص
والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فإن كنت في
شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه
ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين
وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب

العطف والرأفة ولا يخاشنهم في الإنذار والتخويف وروي أنه صعد الصفا لما نزلت
فنادى الأقرب فالأقرب فخذًا فخذًا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا
عباس يا صفية عمة رسول الله إني لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي
أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب
العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد
المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد وروي أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة
بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني
لا أغني عنكن شيئا. الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد
أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين
الجانب ومنه قول بعضهم: وأنت الشهير بخفض الجناح، ينهاه عن التكبر بعد التواضع فإن
قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن
اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم
ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب ثم إما أن يكونوا
منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من
عشيرتك وغيرهم يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك فإن عصوك
ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره **وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك**
حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم
ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا
المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية الله فعلى هذا إذا وقع الإنسان
في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه

بمعصية الله وفي مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محلان
في العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع. على العزيز الرحيم على الذي يقهر أعداءك بعزته وينصرك
عليهم برحمته ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف
الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث
لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى أنه حين
نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى
ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم
بذكر الله والتلاوة. والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس
جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمّهم
وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له
هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين
إنه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن خلفه من قوله
صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم
وقرئ ويقلبك **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**
كل أفاك أثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة. يلقون السمع هم
الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون إلى الملأ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون
به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك. وأكثرهم كاذبون فيما يوحون
به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة وقيل
الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى
الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثرها يحكمون
به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من
مائة كذبة والقر الصب فإن قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام
والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت قلت

ليس معنى التضمين أن الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل
أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل
قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل
حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فإن قلت
يلقون ما محله قلت يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل
الجر صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل
على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فإن قلت كيف قيل وأكثرهم كاذبون
بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك قلت الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا
يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما
يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه فإن قلت وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به
الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات قلت أريد
التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة
بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها
ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد
ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون
وأنهم يقولون ما لا يفعلون والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على
باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب و
النسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب
على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل
هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع
بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل
قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ
عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه

النصب قراءة الحسن حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على
التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل
لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة
حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء
ويفسقوا التقي وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي
مصرعات وبت أفض أغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين
قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون
استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان
ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء والحكمة والموعظة
والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة
وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائبة ولا منقصة وكان
هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أن رجلا من العلوية
قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر
باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله
ابن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب ابن زهير والذين
كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب
بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت قل وروح القدس معك وسيعلم الذين
ظلموا أي منقلب ينقلبون ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا
أنكأ لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد

البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر
لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها
وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف
وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناها أن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا
من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم
اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين
ظلموا فنعوذ بالله منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له
من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم
وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين

سورة النمل ثلاث وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين

طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك إشارة إلى آيات السورة
والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه
إبانة وإما السورة وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعتاه من العلوم والحكم والشرائع
وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل
التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه فإن قلت لم نكر
الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند
مليك مقتدر فإن قلت ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن قلت كما تعطف
إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو
المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل
تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآيات كتاب مبين وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين
بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فإن قلت
ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما إلا
ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح

فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم

هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون

هدى وبشرى في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل
فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل
من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى
في كونها هدى للمؤمنين أنها زايدة في هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم
إيمانا فإن قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل أن يكون
من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون
بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو
هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل
الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون

فإن قلت كيف أسند تزيين أعمالهم إليه وقد أسنده
إلى الشيطان في قوله عز من قائل وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت بين الإسنادين
فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله مجاز وله طريقان
في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز
الحكمي فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك
عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه
ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم
وإليه إشارة الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين في قولهم عليهم السلام ولكن متعتهم وآباءهم
حتى نسوا الذكر بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق والطريق الثاني أن إمهاله
الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصححه

بعض الالتباسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله سبحانه
وتعالى فعمهوا عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال
عن الطريق وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين
أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون وإنك
لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر والأخسرون
أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع
خسران النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم
وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص
وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها
بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على
أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم روي أنه لم يكن مع موسى
عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع
وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس
لأنه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من
معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله فإن قلت سآتيكم
منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن قلت قد
يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فإن قلت كيف
جاء بسين التسويف قلت عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة
بعيدة فإن قلت فلم جاء بأو دون الواو قلت بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر
بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعادة
الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عباده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار
بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة فلما جاءها نودي أن بورك
من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول

٧١

والمعنى قيل له بورك فإن قلت هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره
نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا بد من قد فإن قلت فعلى
إضمارها قلت لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك
من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة
المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة
أبي تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة و
بورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار
المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في
أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك
البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في
كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله
أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين
وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا
فإن قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه قلت هي
بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة وسبحان الله
رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون يا موسى إنه أنا الله العزيز
الحكيم الهاء في إنه يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر والعزيز
الحكيم صفتان للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان
لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة
يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة
وتدبير وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا
يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم فإن قلت

علام عطف قوله وألق عصاك قلت على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن
ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل
على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما
تقول كتبت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر وقرأ الحسن جأن على
لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد
ولا الضألين. لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار قال
فما عقبوا إذ قيل هل من معقب . ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا . وإنما رعب لظنه أن ذلك
لأمر أريد به ويدل عليه قوله إني لا يخاف لدي المرسلون . وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق
نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم
منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمن
وإخوة يوسف ومن موسى بوكزه القبطي ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من
موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب إني ظلمت
نفسي فاغفر لي . والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف
التنبيه وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسنا . وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير
سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين . في تسع آيات كلام مستأنف وحرف
الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات إلى فرعون ونحوه فقلت إلى الطعام
فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما . ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك
في تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى
عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم . فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا
هذا سحر مبين . المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لأنهم
لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر
فيها من كافة أولي العقل وأن يراد إبصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت

كأنها تبصر فتهدي لأن العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا عن أن تهدي غيرها ومنه قولهم
كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله لقد علمت
ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار
وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر
فيه التبصر . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين .
الواو في واستيقنتها للحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الإيمان بما
جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون وقرئ عُليا وعِليا بالضم والكسر كما قرئ عُتيا وعِتيا وفائدة ذكر الأنفس أنهم
جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد
قوبل بين المبصرة والمبين وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات
بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه .
ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين .
علما طائفة من العلم أو علما سنيا عزيزا فإن قلت أليس هذا موضع الفاء دون الواو
كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما
قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد
كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا
الحمد لله الذي فضلنا . والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما
وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله
وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه
فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم
رسول الله ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله
وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم
ومنها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما

أحسن قول عمر كل الناس أفقه من عمر ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا
منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن
والإنس والطير فهم يوزعون﴾ ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة
عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله قال يا أيها الناس تشهيرا لنعمة الله
وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق
الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف
المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات
الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه
سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه وروي أنه مر على
بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله
أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول
ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال
يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح
خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى
ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وقال الحدأ يقول كل شيء
هالك إلا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك
يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ والمراد بقوله
من كل شيء كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده
ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثاره منه ومثله قوله وأوتيت من كل شيء ﴿إن هذا
لهو الفضل المبين﴾ قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلعم أنا سيد
ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا فإن قلت كيف قال علمنا
وأوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني

أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته
وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه وإظهار آيينه
وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا
من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجح في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس
بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة
خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة و
سبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ وكان
يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب
وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس
وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع
ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف
تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت
في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي
آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت
إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل
داود ﴿يوزعون﴾ يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي
فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت
نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ قيل هو واد
بالشام كثير النمل فإن قلت لم عدي أتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين أحدهما
أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ولشد ما قربت
عليك الأنجم لما كان قربا من فوق والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من
قولهم أتى على الشيء إذا أنفده كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لأنهم ما دامت

والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت حتى
لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا
النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين
لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود
ولا تعلم انهم في الهوآء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن
ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد
الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه
او لياتيني بسلطان مبين ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي
لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب
عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسئل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء
وذكر من قصة الهدهد ان سليمن حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى
الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف
بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا
فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها
فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت
الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون
الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه
فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس تحت يدها
اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد
العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد خال
فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب
علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الذي قواك
واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال

الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان
الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع
قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان كلامها
من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس
فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليما
اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت
فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل
الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة
انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها
واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى
خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا
بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة
لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن
اشفاقها فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا
في الضحك واخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد
منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ
ابن السميفع ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيئان اعجابه بما دل من قولها
على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها
وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه
بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك
اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفائه لزيادة العمل الصالح

وما استثنى قالت بلى او ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمن ارخى ذنبه وجناحيه
يجرّهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمدّه اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك
بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم ساله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله
ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمن للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل
ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تأكله وقيل ايداعه القفص وقيل
التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون
معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حلّ له تعذيب الهدهد
قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور
للاكل وغيره من المنافع واذا سخّر له الطير ولم يتم التسخير الا بالتاديب والسياسة
جاز ان يباح له ما يستصلح به وقرى ليأتينني وليأتيني والسلطان الحجة والعذر
فان قلت قد حلف على احد ثلثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه
على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت
لما نظم الثلثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان
الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية
على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله
او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به
وجئتك من سبأ بنبأ يقين مكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد
كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم
كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز
وجل احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمن
بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة
ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه
ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة

بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي
بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب
بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر
صرف قال من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون
وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مارب بسبا
وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة
والقوم والنبا الخبر الذي له شان وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه
المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه
عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن
وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح
لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امراة تملكهم واوتيت
من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات
والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم المراة بلقيس بنت
شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد
غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم
راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريد المدينة فمعناه تملك اهلها
وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وكان سمكه ثمانين وقيل ثلثين
وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت
احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت
كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمن قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال
سليمن فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمن مثله وان عظمت مملكته

في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرتهم ويستخدمهم
ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر
عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة
وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمن واوتينا
من كل شيء كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمن عطف قوله على ما هو
معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب
الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من
اسباب الدنيا اللايقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على سليمن
مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين صنعا ومارب
قلت لعل الله تعالى اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب فان
قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله عز وجل ووجوب السجود له وانكاره
سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله تعالى
ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وساير الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء
الرجاح العقول يهتدون اليها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا
في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرا بالتشديد
اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان يكون لا مزيدة و
يكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه
ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دار مي على البلى وفي
حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا
تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبا
من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر
وغيرهما مما خباه الله عز وجل من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا
على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول

في الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف الا على
لغة من يقول الكماه والحماه لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ تخفون وتعلنون بالتاء والياء
وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخب
امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من
يخرج الخب في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة
النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله
ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة التلاوة
واجبة في القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة
اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم
للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما
اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي
سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد
فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف
وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدا الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدا اسجدوا
واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس
وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها
بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم
تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع **قال سننظر**
اصدقت ام كنت من الكاذبين سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت
ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين
كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به **اذهب بكتابي**
هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون تول عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون
ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها

من كوة فألقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فألقه اليهم على لفظ الجمع
قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما
بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك قالت يا ايها الملا
اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي
وأتوني مسلمين كريم لحسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او
مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون
كتابا الا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد
استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استيناف وتبيين لما ألقي اليها كانها لما
قالت اني ألقي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت
وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح
على البدل من كتاب كأنه قيل ألقي الي ان من سليمان ويجوز ان تريد لانه من سليمان ولانه كأنها
عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابي ان من سليمان وان بسم الله
على ان المفسرة وان في الا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا اي لا تتكبروا كما يفعل الملوك
وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد
الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا
علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب
بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت
غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها
وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها
فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت
قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت
وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين قالت يا ايها الملا
افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت

على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى هنا الاشارة عليها بما عندهم
فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع
آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي
قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثمائة
وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر
اليك فانظري ماذا تأمرين ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد
وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون
لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء
الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة وانت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين
نتبع رأيك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة
وكذلك يفعلون لما احست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح و
الابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه
بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة
واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت
وكذلك يفعلون ارادت هذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك
القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد
وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها
حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين
كفرين واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني
بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا
بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت
خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان

والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر
وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها
المنذر بن عمرو وآخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك
نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر
سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله
سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب
في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق
كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت
الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام
كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم
نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين
الحق واخبره جبريل بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة
ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها
فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع
اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل
قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤوا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة
وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدى كما ان العطية
اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها
او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك
ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد
عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة

الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم
بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدني بمال
وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي
عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه
حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني
غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله خير فان قلت فما وجه الاضراب قلت
لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم
لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز
ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون
فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه
قال بل انتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها
ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين
ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل
المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير
في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا
في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى انها
امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها
في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه
ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك
بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى
ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة اراد ان يأخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا
اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير صفته ثم ينظر اتثبته ام
تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين

وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفّر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله أمين آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم الذي عنده علم من الكتاب وقيل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام وعن الحسن الله الرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في نحو قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ

ستر الله متفضل على قوم بنعمه ما أنت لم ترجع لله ونعاذ غني عن الشكر كريم بالإنعام على من يكفر نعمته والذي قال سليمان عند رؤية العرش شاكرا لربه جري على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف أتهتدي لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للإيمان بنبوة سليمان إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليها الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا عرشك ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وأوتينا العلم من كلام سليمان وملائه فإن قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملأه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عنده وفي وفد المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزات وقيل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفد المنذر ودخلنا في

ثم مالك الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها
الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على
انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان
لله رب العالمين الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز
ووجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد والممرد المملس وروي ان سليمان
امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء
والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف
عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته
وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت
بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون
من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها
فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره و
ناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين
فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين
وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل
زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه
فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل
حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان ولقد ارسلنا
الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون وقرئ ان اعبدوا بالضم على
اتباع النون الباء فاذا هم فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح
وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي قال يا قوم لم تستعجلون

بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون السيئة العقوبة والحسنة
التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا
متوقعتين احديهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها
صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك
الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال
لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه
وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل
العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله
الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا
اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم
وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم
مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه
تتفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة وكان في
المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون المدينة الحجر وانما جاز تمييز
التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر
ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة
واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن
مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن
سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم
ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين

... بعض الصلاح قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا
مهلك أهله وإنا لصادقون تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال بإضمار قد أي
قالوا متقاسمين وقرئ يتقسموا وقرئ ليبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون
والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه إلا أن يكون خبرا والتقاسم التحالف كالتظاهر
والتظاهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الإسكندر أنه أشير عليه
بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها
من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فإن قلت كيف
يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا
أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا
أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن
الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم
قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم
حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر
الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي أنه كان
لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن
نفرغ منه ومن أهله قبل الثلث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا
إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم
في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة
ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا إنا دمرناهم استئناف
ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو
نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم خاوية

بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون خاوية حال عمل
فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف ولوطا إذ قال
لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم
قوم تجهلون واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه وإذ بدل على الأول
ظرف على الثاني وأنتم تبصرون من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها
وأن الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى وهي مضادة لله
في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح
من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض
لأنهم كانوا يركبونها في ناديهم معالنين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا
في المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير
في اللذات من دونها ستر أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فإن قلت فسرت
تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت أراد تفعلون
فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة
والمجانة التي كانوا عليها فإن قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب
فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون قلت
اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة فما كان
جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه
وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقرأ
الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهور أحسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات
كأنها يتنكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها
قدرنا كونها من الغابرين والتقدير واقع على الغبور في المعنى قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتلو
تلك الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح

بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على
ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول
ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد
توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على
رسوله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون
فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل
هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء
واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه ان يحمد الله على هلاك كفار قومه
ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم ه معلوم ان لا خير فيما اشركوه
اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم
بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا
لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه
وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط
واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد
ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل
انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد الله سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته
وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون
بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بل الله خير وابقى
واجل واكرم امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات
بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون فان قلت ما الفرق
بين ام وام في اما يشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير تقريرا لهم
وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات
والارض خير تقريرا لهم بان من خلق السموات والارض خير من جماد لا يقدر على شيء

وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات
والارض خير ام ما يشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة
الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى الاختصاص الفعل بذاته
والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال
مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى
الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان
تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم قوم يعدلون بعد الخطاب ابلغ في تخطئة
رأيهم ه والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات
لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت ه والبهجة الحسن
لان الناظر يبتهج به ه ءاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ ءالها مع الله
بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية
بين بين ه يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض
قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل
اكثرهم لا يعلمون امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه ه قرارا دحاها
وسواها للاستقرار عليها ه حاجزا كقوله برزخا امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف
السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون الضرورة الحالة المحوجة
الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر و
المضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع
الى الله عز وجل وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة
وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر
اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون
المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر
فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل

وقد قام الدليل على البعض وهو الذي إجابته مصلحة فبطل التأويل على العموم خلفاء
الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة
الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي يذكرون
تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي امن يهديكم في ظلمات البر
والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم
في السماء وبالعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر امن يبدؤا
الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين فان قلت كيف قيل لهم امن يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة
قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار
من السماء الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم
عليه قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون فان قلت
لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على
لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار كأن احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو
وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي
على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا
اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات
والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله
منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس
فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله
في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم
قلت يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم
بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك

بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته
الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة
من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن
احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعلان من آن يئين ولا انصرف
وقرئ ايان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون قرئ بل ادرك
بل ادارك بل ادّرك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بالتخفيف والنقل
بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى
أأدرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء
في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم في الآخرة انتهى وتكامل وادارك تتابع
واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة
لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم
في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم
نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت
الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت
بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين
بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد
لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا
لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن
الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه و
استحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل
الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه

مسلوک فضلاً أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته وفي أدرك علمهم وادّارك
وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها
التي عندها تعدم وقد فسّره الحسن باضمحلّ علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا
في الهلاك فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام قلت هو استفهام
على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التي بمعنى بل و
الهمزة فإن قلت فمن قرأ بلى أدرك وبلى أأدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما
يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسّر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم
الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع
إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون
متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم
بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها فإن قلت
هذه الإضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون
وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه
والإزالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض
كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو
أسوأ حالاً وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همّه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقاً ولا
باطلاً ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عدّاه بمن دون عن
لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا
أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون العامل في إذا ما دلّ عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لأن
بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقاباً وهي همزة الاستفهام وإنّ ولام الابتداء وواحدة منها كافية
فكيف إذا اجتمعن والمراد الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحياة وتكرير حرف
الاستفهام بإدخاله على إذا وإنّ جميعاً إنكار على إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد
مبالغ فيه والضمير في إنا لهم ولآبائهم لأن كونهم تراباً قد تناولهم وآباءهم لقد وعدنا هذا الخ

وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين فإن قلت قدّم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدّم نحن
وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على أن المقدّم هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام
إنما سيق لأجله ففي إحدى الآيتين دلّ على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمّد بالكلام وفي الأخرى
على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم يلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها
غير حقيقي ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم وأراد بالمجرمين الكافرين وإنما عبّر عن الكفر
بلفظ الإجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك الجرائم وتخوّف عاقبتها ألا ترى إلى قوله فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ولا
تحزن عليهم لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله على آثارهم إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفاً في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله
يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضَيقاً وضِيقاً بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق
أيضاً تخفيف الضيّق قال الله تعالى ضيقاً حرجاً قرئ مخففاً ومثقلاً ويجوز أن يراد
في أمر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم
بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو
عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
أو ضمّن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدّي
بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعاً والمنية تعنق يعني دنونا من عمير
وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل
وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجدّه ولا مجال
للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام
لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوّهم لا يفوتهم وأن الرمزة إلى الأغراض
كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وإن ربك لذو فضل
على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل

في نواله وفضول، ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها، وأكثرهم
لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم
قريش. وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون قرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته
إذا سترته وأخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم
وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه. وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين
سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية
والعاقبة ونظيرهما النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز
أن تكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالرواية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء
كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته
في اللوح. المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة. إن هذا القرآن
يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين قد اختلفوا
في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا
وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود
والنصارى. للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم
إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فإن
قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ولا يمنع بمنعه قلت معناه
بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمي المحكوم به حكما أو أراد بحكمته ويدل
عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة. وهو العزيز فلا يرد قضاؤه. العليم بمن يقضي
له ومن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين
فتوكل على الله إنك على الحق المبين أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين
وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب
الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع
الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون

فإن قلت إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه
أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك
اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلازم أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر
قد يئس منه ولم يبق إلا الاستنصار عليهم بعد ذنبهم واستكفاء شرهم وأذاهم وشبهوا
بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول
لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين
فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث
يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل
فإن قلت ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين قلت تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد
عن الداعي بأن يتولى عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت
بهاد العمي على الأصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمي. وهداه عن الضلال
كقولك سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى. إن تسمع أي
ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها. فهم مسلمون أي
مخلصون من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالماً لله خالصاً له. وإذا وقع القول عليهم
أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون سمي معنى القول ومؤداه
بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة
الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة. ودابة الأرض الجساسة جاء في
الحديث أن طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي لها أربع
قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير
وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب
كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم وروي لا تخرج إلا
رأسها ورأسها يبلغ أعنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون وما بين
قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه

أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل
من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي أنها
تخرج ثلث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا
طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين
الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة
وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول أن الناس كانوا بآياتنا لا
يوقنون يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا
لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن
ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن
فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى عليه [السلام] يطوف بالبيت ومعه المسلمون
إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة
من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه
بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو
فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه
فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن
بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت أهل النار وقرئ تكلمهم
من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا
على معنى التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد با
لتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أنبئهم
وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بأن مكسورة حكاية
لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية
لقول الله تعالى عند ذلك فإن قلت إذا كانت حكاية لقول الله فكيف تقول بآياتنا
قلت قولها حكاية لقول الله أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله [illegible]

وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا
وإنما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن ويوم نحشر من
كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم حتى
يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهي عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت
جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون
في دين الله أفواجا وعن ابن عباس أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون
بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار فإن قلت أي فرق
بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان
حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا
فهم لا ينطقون الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة
العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها ومع جحودكم
لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند
من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه أم ماذا كنتم تعملون
بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا
بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء
أتأكل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدأت به وجعلته أصل كلامك وأساسه هو الذي صح
عندك من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك بأنه لا يعمل بها إلا الأكل لتبهته
وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف
ذلك أو أراد ما كان عملهم في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير
ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمان و
الطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد أن
العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار
كقوله هذا يوم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات

لقوم يؤمنون فجعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله
لتسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا
النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين
فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته
وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل
الماضي وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله
الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل
الشهداء وعن الضحاك من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه
ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى
الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم
له وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير
بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال
فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان
واحد وهي تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد
اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بارعن مثل الطود
تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله
وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور
فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به
الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة
والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب
والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه

عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء
بالحسنة الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده
ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز
القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته
والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله
وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف
تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد
ولا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل
ينقضي والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها
اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وقرئ
يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان
قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس
لشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به
كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز
وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرأ
من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب
واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلو
منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد
مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله
أفأمنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك بالله فكبت عبر عن الجملة بالوجه والرأس
والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم
يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند
الكب باضمار القول انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت

أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل
فقل إنما أنا من المنذرين أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة
ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام
وأن أتلو القرآن من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى إليك والبلدة مكة
حرمها الله اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه
وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره
فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله
ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم وتقريب دالا على أنها
موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل
بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه
ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا
ينفر صيدها واللاجي إليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع
لدخولها تحتهما وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها
وملك إليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من
جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حرمها وأتل عليهم هذا القرآن عن أبي وأن اتل
عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه
والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه
لا إلي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ
وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ثم أمره أن يحمد الله على
ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي
تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة يعني في الآخرة
عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا قيل
هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه

لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ يعملون بالياء
والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ويخرج من قبره
وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب
المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون من نبإ موسى وفرعون
مفعول نتلوا أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون
لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم إن فرعون علا في
الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم
إنه كان من المفسدين إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف
كان نبأهما فقال إن فرعون علا في الأرض يعني أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم
شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى
وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا أو يشيع بعضهم بعضا
في طاعته أو أصنافا في استخدامه يستسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا
في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة
وهم بنو إسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الأبناء
أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك دليل بين على
نحافة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه
القتل ويستضعف حال من الضمير في جعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح
بدل من يستضعف وقوله إنه كان من المفسدين بيان أن القتل ما كان إلا فعل المفسدين
لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين فإن قلت علام عطف قوله ونريد أن نمن
وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله إن فرعون

علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا للنبأ موسى وفرعون واقتصاصا
له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون
ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة
عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولا يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله
بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم
ائمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى
بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا
الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم **ونمكن لهم في الارض ونري فرعون**
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد
فوطأه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام
ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق
ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم **واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا**
خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما
ونهى عن الآخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح
خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع
ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان
وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم
يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما
جميعا وامنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة
وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف
وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى

بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لتنفعني هذا اليوم فعالجتها فلما وقع على الارض هالها
نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل
مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت
جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش
من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور
فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان
اوحى الله اليها فالقيه في اليم وروي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي
بالقار من داخله **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما**
كانوا خاطئين اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء
ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط
ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته
شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب
الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث
استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما
لغتان كالعدم والعدم **كانوا خاطئين** في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع
منهم او كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا **وقالت امرأت فرعون قرة**
عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون روي انهم حين التقطوا
التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف
التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا صبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه
وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه
شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى
وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه

هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك
فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها
ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث فتأويله والله أعلم بصحته وروي أنها قالت له لعله من
قوم آخرين ليس من بني إسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ
ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه
قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله
وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه
النجابة المؤذنة بكونه نفاعا أو نتبناه فإنه أهل للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك
فإن قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون
أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية
واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض
بعلم محاسن النظم وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على
قلبها لتكون من المؤمنين فارغا صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أي جوف
لا عقول فيها ومنه بيت حسان • ألا أبلغ أبا سفيان عني • فأنت مجوف نخب هواء
وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه
قراءة من قرأ فزعا وقرئ قرعا أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع
الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا
قلب لها من شدة ما ورد عليها • لتبدي به لتصرح به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته
وأنه ولدها • لولا أن ربطنا على قلبها بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن
لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله إنا رادوه إليك ويجوز وأصبح فؤادها

فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه • إن كادت لتبدي بأنه
ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت • لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه
الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج • لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا
بتبني فرعون وتعطفه وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها
فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون
قصيه اتبعي أثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن
جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد إلى جنبه
وإلى جانبه أي نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بأنها أخته وكان
اسمها مريم وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له
ناصحون التحريم استعارة للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه ألا ترى إلى قولهم محظور وحجر
وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى أهمهم ذلك والمراضع
جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع
من قبل من قبل قصصها أثره وروي أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان إنها لتعرفه وتعرف
أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح إخلاص العمل من شائبة الفساد
فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون فانطلقت
إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع
فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا
ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها
وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر
في علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم أن وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن
فإن قلت كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها قلت ما كانت تأخذه
على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن أكثرهم
لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابوا

وينبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغاً
يروى أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت
أن يقتل فرعون فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون
أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم
ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا
يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن
ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين واستوى واعتدل وتم
استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط • واستحملوا أمركم لله دركم • شزر المرير
لا قحماً ولا ضرعاً • وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة
والعلم التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث
فكان لا يفعل فعلاً يستجهل فيه ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي
فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر
وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون
فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية
إلا على تغفل • وقرأ سيبويه فاستعانه • من شيعته ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل
وقيل هو السامري • من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي
لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون • والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ
ابن مسعود فلكزه باللام • فقضى عليه فقتله فإن قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه قلت لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنباً يستغفر
وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين

بما أنعمت علي يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن
فلن أكون ظهيراً للمجرمين وأن يكون استعطافاً كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي
من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة
فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد
وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة
الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة
أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن
عطاء أن رجلاً قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من
يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث
ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة
أو برى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت
علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا
أدع قبطياً يغلب أحداً من بني إسرائيل فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي
استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين يترقب المكروه وهو الاستقادة
منه أو الأخبار وما يقال فيه ووصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان سبب قتل رجل
وهو يقاتل آخر فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني
كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين
وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني
إسرائيل • والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا
يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى على
موسى فانتشر الحديث بالمدينة ورقي إلى فرعون وهموا بقتله وجاء رجل من أقصى
المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين
قيل الرجل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون • ويسعى يجوز ارتفاعه وصفاً

الرجل وانتصابه حالًا عنده لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل
صلة ليجاء لم يجز فيه إلا الوصف • والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران
ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون
بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين
ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل يترقب التعرض له في الطريق
او أن يلحق • تلقاء مدين قصدها ونحوها • ومدين قرية شعيب سميت بمدين
بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عم
لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه
وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر
فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى
مدين ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ماء مدين ماؤهم الذي يستقون
منه وكان بئرا فيما روي وروده مجيئه والوصول اليه • وجد عليه فوق شفيره ومستقاه
أمة جماعة كثيفة العدد من الناس من أناس مختلفين ووجد من دونهم امرأتين
تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير من دونهم في مكان
أسفل من مكانهم • والذود الطرد والدفع وإنما كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى
منهما فلا تتمكنان من السقي وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما
بأغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما • ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته
ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك
يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده • وقرئ لا نسقي ونصدر والرعاء بضم النون
والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام
وقيام • كبير كبير السن فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب إني لما أنزلت الي من خير فقير
فسقى لهما فسقى غنمهما لأجلهما وروي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله
الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده وروي أنه سألهم

دلوا من ماء فأعطوهم دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقى
بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروي أنه دفعهم عن الماء
حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة في المعروف
وإغاثة للملهوف والمعنى أنه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس
مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين
لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط
خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة
قلبه وشدة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة
وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما
كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث
على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم فإن قلت لم ترك
المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لأن الغرض هو الفعل
لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن
مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه
السقي لا المسقي فإن قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب
الذود فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مساجلة الرجال
ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا
شيخ كبير قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما
فإن قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عم أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية
قلت الأمر في نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه وأما المروءة فالناس مختلفون
في ذلك والعادات متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل
البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة • إني لما
أنزلت الي من قليل او كثير غث او سمين لفقير وإنما عدي فقير باللام لأنه ضمن معنى

سايل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سال الله
الا اكلة ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو
النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني
وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة **فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان
ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين** على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت
بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال
لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه
لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي
لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت
كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل
بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار
وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية
فلا باس بها في نظاير تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ
الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله على سبيل البر
والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل
التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة
من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء
الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما
يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع
وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف
ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السايب رفع صوته
بدعايه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر

كالعلل سمي به المقصوص **قالت احديهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي
الامين** كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به
وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس ان شعيبا احفظته
الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه
صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت
القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني
الكفاية والامانة في القايم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال
هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته
فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت
هو مثل قوله ‌ الا ان خير الناس حيا وهالكا ‌ اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان
العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما
وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون هالك
لسان ممخ وعن ابن مسعود افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله
عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر وروي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه
كانت له غيرهما **قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت
عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين** تاجرني من
اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته
كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني
حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه
من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواضعة امر قد عزم
عليه ولو كان عقدا لقال انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان
يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة
كيف منع ان يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة

أو يسكنها داره سنة لأنه في الأول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني مسلم مالا وهو العبد
والدار قلت الأمر على مذهب أبي حنيفة كما ذكرت وأما الشافعي فقد جوز التزوج
على الإجارة لبعض الأعمال والخدمة إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعل
ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئا آخر وإنما أراد أن يكون راعي غنمه
هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنكاح بالرعية على معنى إني
أفعل هذا إذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره
لرعيته ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن
تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فإن أتممت عمل عشر حجج فمن عندك فإتمامه من
عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو
منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك وما أريد أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين وإيجابه
فإن قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر قلت حقيقته أن
الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه
أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا
يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الأوقات و
المداقة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان
الأنبياء آخذين بالأسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني إن شاء الله من الصالحين
يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد
الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من
الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن شاء
استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول
وكيل ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك
الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت

علي ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي أجل قضيت من الأجلين أطولهما الذي
هو العشر وأقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان علي أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة
عليه فإن قلت تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة
بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما أني إن طولبت
بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك
تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا
من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها
وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك
لا إثم ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود أي الأجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون
الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره
وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فإن قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة
في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام أي زائدة في شياعها
وفي الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أي الأجلين صممت على قضائه وجردت
عزيمتي له الوكيل الذي وكل إليه الأمر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت
عدي بعلى لذلك روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء فقال لموسى بالليل ادخل
ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ثم لم يزل
الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها
فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم
فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته
أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم
ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك
فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن
ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج

ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ
على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت
الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله
فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى
دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك فلما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها
ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال
له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى الله اليه في المنام أن اضرب
بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاء
فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما
وأبطأهما وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت
فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا
لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون الجذوة باللغات الثلاث وقرئ
بهن جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير باتت حواطب
ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال وألقى على قبس من النار
جذوة شديدا عليه حرها والتهابها فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة
المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها
جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا
قوما فاسقين من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي
من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة
كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم
والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت
ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان أحدهما أن موسى لما قلب الله

العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك
بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت
عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة
عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الانسان بمنزلة جناحي
الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني
أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى
لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه اذا خاف نشر جناحيه و
أرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن
كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه
الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من
أحد أكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي اذا أصابك
الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا
وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في
جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد
لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني
اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر
مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما
قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة
من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير و
أنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من
الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف
تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة
الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك
جبة قصيرة

تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وأما الآن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة. سلطانا غلبة وتسلطا أو حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم **فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** سحر مفترى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله. في آبائنا حال منصوبة عن هذا أي كائنا في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها **وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون** يقول ربي أعلم منكم بحال من أهّله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهّله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت. فإن قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما مما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر. قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل

والمتشدد مشتق ذلك. برهانان حجتان نيرتان. فإن قلت لم سميت الحجة برهانا. قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها **قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون** يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل: وردئي كل أبيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول. وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب. ردءا يصدقني بالرفع والجزم صفة والجواب نحو وليا يرثني سواء. فإن قلت تصديق أخيه ما الفائدة فيه. قلت ليس الغرض بتصديقه أن يقول صدقت أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون وفي قراءة أبي ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني **قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة: أبني لبيني لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد. ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة

فيها خلاف ما وضعها الله له عند حرّف فاذا عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة
السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو في
على ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به
موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى انهم قالوا ذلك
وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر
وبضدها تتبين الاشياء وقرئ تكون بالياء والتاء وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم
من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني
لأظنه من الكاذبين روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون
الف بنّاء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب
المسامير فشيّدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان البانى لا يقدر ان يقوم
على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث
قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة
في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة
ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي
ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم
بصحته قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده ومعناه ما لكم من اله غيره كما قال عز وعلا
قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع
للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان
انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبّر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز
ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله تعالى واني
لاظنه من الكاذبين واذا ظنه موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن
ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه
لقول موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك

البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جا
مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما
كان يطلع اليه اذا قعد في عليّته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بيّنة
اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل
اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من
عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان
في نفسه بتلك الصفة فان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به
بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يراد
الظن على القول الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح
مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف
عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سطوته وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على
الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة
ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة
وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط
الكلام دليل التعظيم والتجبر وعن عمر انه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة
بالآجر قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود
يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا
لا يرجعون الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ
في كبريائه الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق
يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبريائه
سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير

بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى وألقينا فيها
رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره
والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات
وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته
وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيمة هم من المقبوحين فإن قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار
قلت معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى
خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه
بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسّقه وبخّله جعله بخيلا وفاسقا ومنه
قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم
إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة
ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم
أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى
الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل
صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته فإن قلت فأي
فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف
فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا
ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مبتوت حكمه لما منعت منه الألطاف
فبذكر منع الألطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على
وجوده ويتصور هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا
وهم يوم القيمة مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي طردا وإبعادا
عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين *ولقد آتينا*
موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون

بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين
الذي تبصر به يريد آتيناه التورية أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا
تعرف حقا من باطل وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها
وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي
فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر *وما كنت بجانب*
الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول
عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب
الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون
الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور
وكتب الله له في الألواح والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي إليه والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى
ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم
للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة
التورية له في الألواح وغير ذلك فإن قلت كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا
الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا قلت اتصاله به وكونه استدراكا من حيث
إن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم
وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب
إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال وما
كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة
الفترة ودل به على المسبب اختصارا فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين
بعده وما كنت ثاويا أي مقيما في أهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم
تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك
بها وعلمناكها إذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة

وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما آتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى
وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة
بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين
لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف
والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث
والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك
والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول
اليهم انما كان ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا
القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال
الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء
المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما
ارسلناك ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد
عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم
هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة
القوية على استحكام كفرهم ورسوخهم فيه ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي
وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل
تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي
موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون فلما جاءهم الحق وهو الرسول
المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم

قالوا لولا اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر
وغيرهما من الآيات فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل
عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم
وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن قد كان للعرب
اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهارون ساحران
تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين
مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم
علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب
المعنى الى اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن
فقد كفروا بموسى وبالتوراة فقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهرا او في الكتابين
سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد
عليه السلام فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم
بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل
علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع
الاتيان بكتاب هو اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد
بحرف الشك التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله
فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى
الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال
استجاب الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه ولا دعاء ههنا قلت
قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى

ثم قال ومن أضل ممن لا يتبع في دينه إلا هواه بغير هدى من الله أي مطبوعا على قلبه ممنوع
الألطاف إن الله لا يهدي أي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف
بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد
وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قرئ
وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا
ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل
عليهم نزولا متصلا بعضه في إثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
إلا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت
في عشرة أنا أحدهم وقيل في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر
من أرض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن وإذا يتلى عليهم قالوا
آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين فإن قلت أي فرق بين الاستئنافين
أعني إنا قلت الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به
والثاني بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا
أن إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرؤوا في الكتب الأول ذكره وأبناءهم من
بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الإسلام لأن الإسلام
صفة كل موحد مصدق للوحي أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة
السيئة ومما رزقناهم ينفقون بما صبروا بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن
أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين
وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة
أو بالحلم الأذى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين
سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين
لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فإن قلت من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم قلت اللاغين

الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو لا تهتدي من أحببت لا تقدر أن تدخل في الإسلام
كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره
ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف
تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول وهو أعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين
لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال
عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد
منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد بها لك
عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال خرع عند الموت
ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك
عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ
عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم
نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون قالت قريش
وقيل إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق
لكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون
أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت
وآمن قطانه بحرمته فكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون
وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمار
والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة
البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للخوف والتخطف
ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل
الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز تجبى إليه تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون
من الجنى وتعديته بإلى كقوله يجنى إلي فيه ويجني إلى الخافة وقرئت بضمتين وبضمة

وسكون . ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شي . ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله
من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك اذ لو
يتفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف
اذا آمنوا به وخلعوا انداده . فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا
جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شي ويرزق ثمرات كل شي
واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضا
كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة . وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين . هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة
قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة
وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم . وانتصب معيشتها اما بحذف
الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم
او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج
واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت . وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان
لا يحفظ حق الله فيه . الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق
يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم
لم يبق فيها الا قليلا . وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اذ تركناها على حال لا
يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض يتخلف الاثار عن اصحابها حينا ويدرك فنا
البناء فينقلع . وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون . وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث
في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها . رسولا لالزام الحجة وقطع
المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او ما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض
حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها
بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر . وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم

الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة
الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم وتنزيهه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون
لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع
لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم . وما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما
عند الله خير وابقى افلا تعقلون . واي شي اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع
وزينة اياما قلايل وهي مدة الحيوة المنقضية . وما عند الله وهو ثوابه . خير في نفسه
من ذلك . وابقى لان بقاءه دايم سرمد . وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة
وعن ابن عباس ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر
فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع . افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه
كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين . هذه الآية تقرير وايضاح للتي
قبلها . والوعد الحسن الثواب لانه منافع دايمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شي
احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى . ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف
يلقون غيا . من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم
لمحضرون قيل نزلت في رسول الله وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار
بن ياسر والوليد بن المغيرة . فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها
قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه
بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة و
ابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبب لان لقاء الموعود
مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال
التمتيع لا للتراخي في الوقت وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها
للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو ولهو وهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده
فهو كالمتصل . ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون . شركاءي مبني على زعمهم وفيه

تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوف وتقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على اكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون اي كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكي اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا

بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله عما يشركون الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بري من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم

وما يعلنون ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه
وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة
وله الحكم وإليه ترجعون وهو الله وهو المستأثر بالإلهية المختص بها ولا إله إلا هو تقرير
لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي فإن قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد
في الآخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا على وجه الكلفة وفي
الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده قل أرأيتم إن جعل الله
عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن
جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون أرأيتم وقرئ أريتم
بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا والسرمد
الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد
فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فإن قلت هلا قيل
بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس
لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك
المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه
ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره
أنت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة لتسكنوا
في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم وقد سلكت
بهذه الآية طريقة اللف ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون تكرير التوبيخ
لاتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في
مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في أهل الناجين من
وعيدك ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا
يفترون

ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا وهو نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون
بما كانوا عليه فقلنا للأمة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول
فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة
الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب إن قارون كان من قوم موسى
فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا
تفرح إن الله لا يحب الفرحين قارون اسم أعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف
ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه أنه آمن به وقيل كان
إسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى
بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته
وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال إذا كانت النبوة
لموسى والمذبح والقربان إلى هرون فما لي وروي أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت
الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله
موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى
متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني
إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل
عليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا فإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر
وكانت من شجرة اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي
وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ
تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل إذا
أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا
وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على
إصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز

والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه
ان يفسر المفاتح بالخزاين ويعطيها حكم ما اضيف اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت
اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتيكم وقول القائل
ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن فاما
من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما
احسن ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ
فيما آتيك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ
الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة
الدار الآخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله
زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد
الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك والفساد في
الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى صلى الله عليه وسلم وقرئ واتبع
قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو
اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون على علم على استيجاب واستحقاق
لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل
هو علم الكيميا عن سعيد بن جبير المسيب كان موسى عليه يعلم علم الكيميا فافاد يوشع بن
نون ثلثه وكالب بن يوقنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما
الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء
فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته
على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو
في ظني ورأيي هكذا يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من قبله من هو اقوى
منه واغنى لانه قد قرأه في التورية واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام

والايام كأنه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز
ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل
أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم
النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين والكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان
قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر
قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد
له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر
على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك فخرج
على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه
الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن
الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر
كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه رغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر
وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا
الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى
ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن
الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه
بانه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ
وجدود وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا
الصابرون ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على
ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل

والراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح. الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير. **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** كان قارون يؤذي نبي الله موسى كل وقت وهو يداريه للقرابة بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت فقال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله الذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله وبالرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله. من المنتصرين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع. **واصبح الذين**

تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا. وي منفصلة عن كأن وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطأهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك والمعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدي كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا. **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رض ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر. **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون** معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى القلو

السابقين إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع
أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله
خير منها إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن
هو في ضلال مبين فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني
أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت
إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به
مكة ووجهه أن يراد رده إليها يوم فتح مكة ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا
له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقهره لأهلها ولظهور عز
الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في
أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه
حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مولده ومولد
آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها الله فإن قلت
كيف اتصل قوله قل ربي أعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل
للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو
في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجو أن يلقى إليك
الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين فإن قلت قوله إلا رحمة
من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا الكلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك
الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من
ربك ألقي إليك ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من
المشركين وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال أناس أصدوا
الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن أنوف الحوائم بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت
إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك
والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره ولا تدع مع الله

إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون إلا وجهه إلا إياه و
الوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له
من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم
القيمة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون سورة العنكبوت
مكية وهي تسع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب الناس
أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين
الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا
عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت
الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن
ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك
فإن قلت فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو
في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين
لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك
لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه ألا ترى أنك قبل
المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر
قبل اللام فإن قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ
قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك
خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت
ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد
التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات
والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على
أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا
القول بالإيمان أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات

اذاهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص عن غير المخلص والراسخ في الدين
من المضطرب فيه والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وروي أنها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس
أسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون
فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم
من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر
رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من
يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك
ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الانبياء قبلهم قد أصابهم من
الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قتل معه
ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع
المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد
ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا
في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت
لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم
من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن
الكاذبين وقرأ علي والزهري فليعلمن من الاعلام أي وليعرفنهم الله الناس
من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون
وزرقتها أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون أن يسبقونا
أن يفوتونا يعني الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم

ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع
فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت
أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين
كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى
الاضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن
لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا أو
بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله
لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين لقاء الله
مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك
الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر
فاما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله
من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان
أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق
أمله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله
العباد ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي
في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان أجل الله لآت
كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة و
الوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو
لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك
فان يوم الجمعة قريب اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في
منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما
أمر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون اي ان نريد قوما مسلمين صالحين

تكفر اساءوا في بعض اعمالهم وسيآتهم مغفورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ونجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيآتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ونجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن

ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخربة امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم انه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله عز وجل صارفا

وإذا نصر الله عز وجل المؤمنين وغنّمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم
في دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر
الله سبحانه وتعالى انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك
ما تكن صدورهم من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين
واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع
اثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا
عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا التجمع في هذين
الامرين في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا
قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك
فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد
ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان
من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو
حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك
يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن
فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله عز وجل انهم لا يقدرون
على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين
عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت
شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده
لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم
كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم
نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا اخر غير الخطايا
التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسألن سؤال تقريع

عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطيئاتهم ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون كان عمر
نوح الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش
بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة
وخمسين سنة قلت ما اورده الله عز وجل احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم
اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك فكأنه قيل تسعمائة وخمسين
سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة
اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح من امته وما كابده من طول المصابرة
تسلية لرسول الله صلعم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكثر منه اوقع
واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت فلم جاء المميز اولا بالسنة
وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب
في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو
ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج
وغم طوفان الظلام الاثأبا فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين اصحاب
السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام
وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقد روي عن النبي صلعم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم والضمير في وجعلناها
للسفينة او للحادثة والقصة وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون نصب ابراهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل
على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم
مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى
وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم ان
كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة

دون عن الجهل التغابي علمتم أنه خير لكم إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون
إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
واشكروا له إليه ترجعون وقرئ تخلّقون من خلّق بمعنى التكثير في خلق وتخلّقون من تخلّق
بمعنى تكذّب وتخرّص وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والإفك
مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أي خلقا أفكا ذا إفك
وباطل واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء إليه وسمّي أصنامهم
إفكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للإفك فإن قلت لم نكّر الرزق ثم عرّفه قلت لأنه أراد
لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق
وحده لا يرزق غيره إليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له
على أنعمه وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين وإن
تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذبتهم أممهم وما ضروهم وإنما ضروا
أنفسهم حيث حلّ بهم ما حلّ بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلّغ البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم
فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذّبوا وعلى الرسول أن يبلّغ وما عليه أن يصدّق
ولا يكذّب وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة
قول إبراهيم لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها فإن قلت إذا كانت من قول إبراهيم فما
المراد بالأمم قبله قلت قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة
في معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن
بالألف إنسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب فإن قلت فما تصنع بقوله
قل سيروا في الأرض قلت هو حكاية كلام الله حكاه إبراهيم عليه لقومه كما يحكي رسولنا
صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن فإن قلت فإذا كانت خطابا
لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من

اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله عز وجل
قلت إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن
تسلية له وتفريجا بأن أباه إبراهيم صلوات الله عليه خليل الله عز وجل كان ممنوا بنحو ما مني به من
شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى إنكم يا معشر قريش إن
تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم
لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما تراه اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواقعة
عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين
قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه أولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ
الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير قرئ يروا بالياء والتاء
ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة
عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر
فلانا وأستخلفه على من أخلفه فإن قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد
له من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك
قوله وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر فلانا ذلك يرجع إلى ما يرجع إليه
هو في قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة الآخرة على أنهما نشأتان
وأن كل واحدة منهما إنشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود إلا أنه
بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشأة
والنشاءة كالرأفة والرآفة فإن قلت ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدأ
في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد إضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس
أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة قلت الكلام معهم كان
واقعا في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله

اجمع عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون** يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون **وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** وما انتم بمعجزين ربكم لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان ، امن يهجوا رسول الله منكم ، ويمدحه وينصره سواء ؛ ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء **والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم** بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بالبال رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه فان صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا **فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجيه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** فما كان جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا

في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم كل النار يعني يوم القى ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها **وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين** قرئ على النصب بغير اضافة وبالاضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبر الان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة بينكم او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرا ابن مسعود اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تتوادونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتلاعن العبدة والاصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا **فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم** كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو اول من آمن له حين راى النار لم تحرقه ، وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه ؛ انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي ؛ الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي **ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين** اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عليه السلم لم يذكر وذكر اسحق عليه السلم وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في

ذريته النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره فان قلت ما المراد
بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب
الاربعة التي هي التورية والانجيل والزبور والقرآن ولوطا اذ قال لقومه انكم
لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح
وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان
قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم
لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط عليه لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر
على ذكر قبل قوم لوط عليه قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد
وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وتقطعون
السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة
بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث وفي ناديكم المنكر عن ابن عباس رضي
هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس
وحل الازار من الاقبية والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رض انهم كانوا
يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية
فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال
للمجلس نادي الا مادام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما
تعدنا من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على
ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها
فيمن بعدهم وقال الله تع الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون فاراد لوط عليه ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه
ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين بالبشرى

من البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب عليهم واضافة مهلكوا اضافة تخفيف
لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا
ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم
كفرهم والوان معاصيهم قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته
كانت من الغابرين اي فيها لوط فليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه
لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم و
اراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته
وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا
يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال
لوط عليه وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون
فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك
منجوك ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن
انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا
احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان
كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق
بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق
الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا
له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله قصير الذراع فضرب ذلك
مثلا في العجز والقدرة انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب
من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون
منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء
الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون يتعلق بتركنا او ببينة والى مدين

أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين
وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء
والمراد اشتراطه بما يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط
وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين
فالرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لأن القلوب رجفت لها
في دارهم في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس جاثمين باركين
على الركب ميتين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم
فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وعادا منصوب بإضمار أهلكنا لأن قوله فأخذتهم
الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من إهلاكهم
من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم
فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو
كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل
عليهم الصلوة والسلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا
عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون سابقين فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم
لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف
لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون الغرض
تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله عز وجل بما هو مثل عند
الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى أن مقطع التشبيه وهو قوله
وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت فإن قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل أحد
يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ

في هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت
العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن
الأديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وإن
أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك
الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالإضافة
إلى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة
الأوثان لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم قرئ
تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا
وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لأنه جماد ليس معه مصحح
العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل
شيئا إلا بحكمة وتدبير وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون كان
الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت
ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها إلا العالمون أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها
إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار
حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال
المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من
عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والأرض بالحق إن في
ذلك لآية للمؤمنين بالحق بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكون مساكن عباده
وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين
ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا
اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله
أكبر والله يعلم ما تصنعون الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها فإن قلت

كم من مصلٍّ يرتكب ولا تنهاه صلاته تلك الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق
بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله إنما يتقبل الله من المتقين
ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة
عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي بين الرجاء والخوف
ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن
عباس من لم تأمره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله عز وجل
إلا بعدا وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلوة وهي
وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما
فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل
فقال إن صلوته لتردعه وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع
شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب
وعلى كل حال فإن المراعي للصلوة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها
وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج
واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى
عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير
اقتضاء للعموم ولذكر الله أكبر يريد وللصلوة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها
بذكر الله عز وجل كما قال فاسعوا إلى ذكر الله وإنما قال ولذكر الله أكبر ليستقل بالتعليل
كأنه قال وللصلوة أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه
عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس
ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير
والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين
ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون بالتي
هي أحسن بالخصلة التي هي الحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة

بالأناة كما قال ادفع بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فأفرطوا في الاعتداء والعناد
ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا
رسول الله وقيل هم الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه
ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا
فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد من السيف
وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا من جنس المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي صلعم
ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله
فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين
آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ومثل
ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا
لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وقيل وما كان وكما أنزلنا الكتب إلى من كان
قبلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن
معه ومن هؤلاء من أهل مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا
مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن
الأشرف وأصحابه وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون
وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط إذا لو كان شيء من ذلك أي من
التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يقرأ
ولا يكتب وليس به أو لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده فإن قلت لم
سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين
ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب قلت سماهم
مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو

لو كنت أميًّا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لريبتهم وشيء
آخر وهو أن سائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم
مصدَّقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه
الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل
معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير
أمي فإن قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول
بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبًا ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات
رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفي
بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون بل القرآن
آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات
الإعجاز وكونه محفوظًا في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهرًا بخلاف سائر الكتب فإنها
لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة
صدورهم أناجيلهم وما يجحد بآياتنا الواضحة إلا المتوغلون في الظلم المكابرون وقالوا
لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قرئ آية وآيات أرادوا
هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك إنما الآيات عند الله ينزل
أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل وإنما أنا نذير كلفت الإنذار وإبانته
بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل علي آية كذا
دون آية كذا مع علمي أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية
واحدة في ذلك ثم قال أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق
غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم
آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون
مكان إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة

فالتنوين للتعظيم ه

لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل أولم يكفهم يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناسًا من المسلمين أتوا رسول الله صلعم
بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو
ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا قل كفى
بالله بيني وبينكم شهيدًا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك
هم الخاسرون كفى بالله بيني وبينكم شهيدًا أني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم
قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والأرض فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم
بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله
وآياته أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان
إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين و
كقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من
يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأ
تينهم بغتة وهم لا يشعرون كان استعجال العذاب استهزاءً منهم وتكذيبًا والنضر بن الحارث
هو الذي قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفًا
من السماء ولولا أجل قد سماه الله في اللوح وبينه لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره
إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلًا والمراد بالأجل الآخرة لما روي أن الله عز وجل
وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم
إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم يستعجلونك بالعذاب وإن
جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم
تعملون لمحيطة أي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب أو هي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي
التي توجبها محيطة بهم أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم
يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم و
من تحت أرجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء

ما كنتم تعملون اي جزاءه **يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون**
معنى الآية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب
فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن
خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب
اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب
المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير
من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد
على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان
رفيق ابرهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب بين ظهراني الكفرة
فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه فارهبون في الغائب واياك نعبد في المخاطب و
التقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم
قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة
لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول
مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص **كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون**
لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد
واشسعها اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق
طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له
بد من التزود لها والاستعداد بجهده **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة
غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون**
لنبوئنهم من الجنة لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة
يقال ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز

مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف
اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف
المؤقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة
الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى
الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله عز وجل **وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم** لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم
بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت
او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم
اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا
هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب
الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره
انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبؤ الا الانسان والنملة والفارة
وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها
وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم **ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون** الضمير في سالتهم
لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله عز وجل وان لا يشركوا به مع
اقرارهم بانه خالق السموات والارض **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له ان الله بكل شيء عليم** قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذي رجع
اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد
قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء
لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين
على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم **ولئن سالتهم**

من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا
يعقلون استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه ممن أقرّ بنحو ما أقرّوا به ثم نفعه ذلك
في توحيد الله ونفي الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار المشركين وعلى
أنهم أقرّوا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم
ثم قال بل أكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد
أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم وما هذه
الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون هذه فيها
ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة يريد
ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون
وإن الآخرة لهي الحيوان أي ليس فيها إلا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها
فكأنها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا
كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا
تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان
من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك والحيوة
حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة
ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا
الحيوة الدنيا عليها فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا
هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون فإن قلت بم اتصل قوله
فإذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا
به من الشرك والعناد فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة
من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلها آخر
وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم إلى البر وآمنوا عادوا إلى حال الشرك واللام
في ليكفروا محتملة أن تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون

إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير
على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله
في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ وأن تكون
لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون
بصير فإن قلت كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن تعمل العصاة ما شاءوا وهو
ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الأمر
متسخط إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ
وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم
حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر
وكيف والآمر بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر وإنما كأنك تقول له فإذ
قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين
لك إذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو
بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارّون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار
عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله تعالى هذه النعمة الخاصة ووبخهم بأنهم يؤمنون
بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر
عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه
أليس في جهنم مثوى للكافرين افتراؤهم على الله عز وجل كذبا زعمهم أن لله شريكا وتكذيبهم
بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه
وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الأمور يسمعون
الخبر فيستعملون فيه الفكر والروية ويستأنون إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه أليس تقرير
لثوائهم في جهنم كقوله ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة
مائة من الإبل وحقيقته أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان

أحدهما ألا يثوون في جهنم ولا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله
وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل
هذه الجرأة ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ أطلق المجاهدة
ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان و
أعداء الدين ﴿فينا﴾ في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ لنزيدنهم هدا
إلى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبي سليمان الداراني والذين
جاهدوا فينا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم
وقيل إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم ﴿لمع المحسنين﴾ بالنصر
والمعونة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات
بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم ستون آية مكية إلا قوله فسبحان الله

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين
وسيغلبون بفتح الياء والأرض أرض العرب لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم
والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنابة اللام
مناب المضاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم قال مجاهد هي أرض الروم إلى فارس وعن
ابن عباس الأردن وفلسطين وقرئ في أداني الأرض والبضع ما بين الثلاث إلى العشر
عن الأصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم
فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب
لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن
وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر
لا يقررن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف
كذبت يا أبا فصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه
على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلعم

فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى
تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم
الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر
الخطر من ذرية أبي وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه من
الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله عز وجل لأنها أنباء عن
علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلَب مصدران
كالجلب والجلَب والحلب والحلَب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه
أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضائها من
المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي
في إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول وفي الثانية إضافته إلى الفاعل ومثلها محرم عليكم
إخراجهم ولن يخلف الله وعده فإن قلت كيف صحت المناحبة وإنما هي قمار
قلت عن قتادة أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود
الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا
على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبي بن خلف ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ من قبل ومن بعد في أول
الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت
كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين
أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله عز وجل وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس
وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ على الجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا
وبعدا يعني أولا وآخرا ﴿ويومئذ﴾ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من
غلبتهم ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت
بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من
غلبة الروم وقيل نصر الله أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا

وبنا نصروا وقتل سواد شوكة هولاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري
وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة
وينصر لكم اخرى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وعد الله مصدر مؤكد لنفسه كقولك لك علي الف
درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه
في معنى وعد ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امر الدين وذلك
انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه يأخذ
الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي
هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك
انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله
ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من
التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود
منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا
من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم
الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها منادٍ على
انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع او لم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم لكافرون في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كأنه قيل او لم يحدثوا التفكر في
انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة
تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر
كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم
يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل
مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها

مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام
الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا با
لحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد
اشتريته وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة
بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه
اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوا
لها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة
على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء اليه حتى يجازيها الحكيم الذي دبر
امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق
كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد
بلقاء ربهم الاجل المسمى او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون او لم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار
المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم
كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض
وقيل لبقر الحرث المثيرة قالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها
اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرين اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل
واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض اصلا ولا عمارة لها رأسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف
حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة
وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي عاد وثمود واضرابهم من هذا
القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لان الخالق
اقوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية ولكنهم ظلموا انفسهم حيث

للظلم

عملوا ما اوجب تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله
وكانوا بها يستهزؤن قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو
الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت
عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التي هي اسوأ العقوبات
في الآخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون
ان بمعنى اى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول
نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا
الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف
جواب لما ولو ارادة الابهام الله يبدؤ الخلق ثم اليه ترجعون ثم الى الله ترجعون اى الى
ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون الابلاس ان يبقى
يائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس ويئس من ان يحتج ومنه الناقة
المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من
شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا
بشركائهم كافرين اى يكفرون بآلهتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم
كتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بنى اسرائيل وكذلك كتب
السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن
هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة
فرقة لا اجتماع بعدها فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون في روضة
في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض
ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة
يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف
فيه الاقاويل لاحتماله جميع وجوه المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون

وعن ابن كيسان يحلون وعن ابى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع
في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي
فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه
الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك
افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى
ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله
ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها
اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب
محضرون محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا ينفك
عنهم فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي
من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه
بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله تعالى الظاهرة وقيل الصلوة وقيل
لابن عباس هل تجد ذكر الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون
صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون
صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراض بينهما والمعنى ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان
يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رحمه الله الى ان الآية مدنية قلت لانه
كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت
معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رض فرضت الصلوة
ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة
الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين

تمسون وحين تصبحون الا قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن الليل حين يمسي
ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه
وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون الحي من الميت كالطائر من البيضة و
الميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة
متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج
الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون
بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون خلقكم من تراب لانه
خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في
الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون من انفسكم ازواجا لان
حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل
انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف و
السكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة
الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف
من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال
ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال قلبه اليه كقولهم انقطع
اليهم واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان
المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان ومن آياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين الالسنة اللغات او
اجناس النطق واشكاله خالف عز وجل بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين
متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم

والاسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها و
الالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت
ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين
يشتبهان في الحلية فيعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة
بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل
فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بكسر اللام
ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون هذا من باب اللف وترتيبه ومن
آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين
بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف
على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره
في القرآن واشد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي
اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا
للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل
الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين
فاعلون في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان
يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن
آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من
في السموات والارض كل له قانتون ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد

بأمره أي بقوله كونا قائمتين والمراد بإقامته لهما إرادته لكونهما على صفة القيام
دون الزوال وقوله إذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى
كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم
دعوة واحدة يا أهل القبور أخرجوا من الارض والمراد به سرعة وجود ذلك
من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت
كليبا دعوة فكأنما دعوت به ابن الطود أو هو أسرع يريد بابن الطود الصدى أو
الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون
من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من
الاولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون
قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت
زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلي فإن قلت بم تعلق
من الارض أبالفعل أم بالمصدر قلت هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
فإن قلت ما الفرق بين إذا وإذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجأة
وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون
منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون
عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وهو أهون عليه فيما يجب عندكم
وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه
وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولهم أول الغزو
أخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى
مرن عليها وهانت عليه فإن قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون والمراد به
الإعادة قلت معناه وأن يعيده أهون عليه فإن قلت لم أخرت الصلة
في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص
وهو محزه فقيل هو علي هين وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما هنا

فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء
فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فإن قلت ما بال الإعادة استعظمت في قوله
ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض بأمره ثم هونت بعد ذلك
قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير
في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء لأن تكوينه في حد
الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكبدا من أن ينتقل في أحوال ويتدرج فيها
إلى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل
التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب
الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال
ممتنع أصلا خارج عن المقدور وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف
المحال لأن الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الإحالة وأما تفضل والتفضل حالة بين بين
للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وأما واجب لا بد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب
أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت
أبعد الأفعال من الامتناع وإذا كانت أبعدها من الامتناع كانت أدخلها في التأتي و
التسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء وله المثل الأعلى أي الوصف
الأعلى الذي ليس لغيره مثله وقد عرف به ووصف في السموات والارض على ألسنة
الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما
من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي
يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه
وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم
وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والارض أي قوله وهو أهون عليه قد ضربه لكم
مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم
من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون

فان قلت اى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شىء
منكم وهى انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى
مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد
ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير
تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم
كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب
ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اى مثل هذا التفصيل
نفصل الآيات اى نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير و
التشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير
علم فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين الذين ظلموا اى اشركوا لقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم بغير علم اى اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ارتكب سواه ربما ردعه
علمه وكفه فاما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شىء من اضل الله من خذله او لم يلطف
به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هدايته مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان
المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا
تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة
ولا تكونوا من المشركين فاقم وجهك للدين فقومه وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا
شمالا وهو تمثيل للاقبال على الدين والاستقامة عليه والثبات والاهتمام باسبابه فان من
اهتم بالشىء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا
حال من المأمور او من الدين فطرة الله اى الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما
اضمر على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه
واقيموا ولا تكونوا معطوفة على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق
الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا

للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم
فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله كل مولود يولد على الفطرة
حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اى ما ينبغى ان تبدل
تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام
ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم
فرحون من الذين بدل من المشركين فرقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم
اى جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع اماما
الذى اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين
منقطعا عما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون
على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه
ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة
واللام فى ليكفروا مجاز مثلها فى ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم تعلمون وبال تمتعكم
وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون السلطان
الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة و
الشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما فى بما كانوا مصدرية اى بكونهم بالله يشركون
ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون
ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان
الذى بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون
واذا اذقناهم رحمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اى بلاء من جدب

او ضيق او مرض والشيب فيها شوم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه تعالى الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عنك الشافعي رضه لا نفقة بالقرابة الا على الوالدين والولد قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون هذه الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربوا من ربا ليربو في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او يهديه اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما أتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله

ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقولوا فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل مأخذا والاول املأ بالفائدة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا لله من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم فيها كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت

ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت أما على التفسير الأول فظاهر وهو
أن الله تعالى قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل
أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثاني فاللام مجاز على معنى
أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال بعض أعمالهم إرادة الرجوع
فكأنهم إنما أفسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الأرض لأجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ثم أكد
تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك
الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان أكثرهم مشركين على أن الشرك
وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن ما دونه من المعاصي يكون سبباً لذلك فأقم وجهك للدين
القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون القيم البليغ الاستقامة
الذي لا يتأتى فيه عوج من الله إما أن يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله
يوم لا يرده أحد كقوله فلا يستطيعون ردها أو بمرد على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به
ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون أي يتفرقون كقوله تعالى
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون
فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت به
كل مضرة فلأنفسهم يمهدون أي يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه
لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء أو قضض أو بعض
ما يؤذي الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت
فأنامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر
لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من
فضله بما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل
تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول

والفواضل

والفواضل هي الأعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير
إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله إنه لا يحب الكافرين تقرير بعد
تقرير على الطرد والعكس ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري
الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي
رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً
وقد عدد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرحمة وهي
نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من
الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره
لأن الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال لحبسها وربما
عصفت فأغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فإن قلت
بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى كأنه قيل
ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها
ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً
علينا نصر المؤمنين اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر
الفريقين وقيل أخلى الكلام أولاً عن ذكرهما وقوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين
ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين
على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقاً ومعناه وكان
الانتقام منهم حقاً ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ
مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا
قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه
في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من
عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فيبسطه متصلاً

تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا
والمراد بالسماء سمت السماء ونسبتها كقوله وفرعها في السماء وبإصابة العباد إصابة بلا
د وأراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين
فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم
وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي
الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير قرئ أثر على الوحدة
والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة إن ذلك يعني أن ذلك القادر الذي
يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر
وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من
بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي
عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فرأوه فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة
الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار
الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت ولئن
هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوا
بين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بأنه إذا حبس عنهم
القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته
ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا
بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله
فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا
على بلائه فكفروا والريح التي أصفر لها النبات يجوز أن يكون حرورا وحرجفا فكلتا
هما مما يصوح له النبات ويصبح به هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا
السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

وضمها وهما لغتان والضم أقوى لما روى ابن عمر قال قرأتها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الإنسان
من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان
ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشو حتى بلغتم
وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم
إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله
من ماء مهين وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى
صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القدير ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون الساعة القيمة سميت بذلك
لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة
لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وأرادوا لبثهم في الدنيا
أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى
وقت البعث أربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذ
لك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصا
له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون كذلك كانوا يؤفكون أي مثل ذلك الصرف كانوا
يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق
أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان عليه إلا ساعة
وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون إنما يلقون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح
أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه
وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فإن قلت ما هذه الفاء
وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط

يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم وقراءة الحسن يوم البعث بالتحريك **فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون** لا ينفع بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اى ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اى يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله** ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة **فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** فاصبر على عداوتهم ان

وعد الله بنصرتكم واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمن مكية وهي اربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون** الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايمان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتداد بها **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين** اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد

يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا
خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي
صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه
ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب
والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل
الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت ما معنى اضافة
اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء
الى ما هو منه كقولك جبة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان
اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء
في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون
الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي
هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشرى على ما روي عن النضر من شرى كتب الاعاجم
او من شرى القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه
عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ
ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة
بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في
الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان
احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان
المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع
ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على
المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث
بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى
والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا

مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل والضمير
للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذا
تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ولى مستكبرا
زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في
اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين
المصدرتين بكأن قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا
استينافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران موكدان
الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات
النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد و
مؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على
الشيء وضده فيعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه
الحكمة والعدل خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها
من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ترونها الضمير فيه للسموات وهو
استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بغير سيف ولا رمح
تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل
الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته
هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا اشارة الى ما
ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء
العظيمة مما خلقه الله عز وجل وانشأه فاروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم
العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ولقد آتينا
لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد هو لقمان بن باعوراء ابن
اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عم

واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا
اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن
نبيا وعن ابن عباس لقمن لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق
ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي
كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود
من اسودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق
القدمين وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه
انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني اسود غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام
رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه
فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث
والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله
له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس
الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي
ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب
فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن
المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان بلال
ومهجع مولى عمر ولقمن ان اشكر لله لان ان مفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه
الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له
حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد
وان لم يحمد احد واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال
بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا
يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا

على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم
فانبئكم بما كنتم تعملون اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء يعني تضعف ضعفا
على ضعف وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي تتزايد ضعفها
ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن
بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر
لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام
كقوله ما يدعون من دونه من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل
وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب
الي بريك واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن
مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على
كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعات
حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم حكمهما وحالهما
في الآخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت
ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون
نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء
وصية لقمن قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية
لقمن من النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله
في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده
الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية
بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن قال له من ابر امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج
على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة

ولا يجازى والدي فعاله. فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت
المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا يتجاوز عنها والامر فيما دون العامين موكول
الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الطعام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة واستشهد
الشافعي على ان مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو
مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن
ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا
وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم يا بني انها
ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله
ان الله لطيف خبير وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير
للهنة من الاساءة والاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل
فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم
العلوي او السفلي يأت بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها. ان الله لطيف يتوصل
علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها
ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال
كما شرقت صدر القناة من الدم. وروي ان ابن لقمن قال له ارأيت الحبة تكون
في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة
لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين
يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطاير يكن اذا استقر
في وكنته وهي مقره ليلا يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك ان ذلك من عزم الامور واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه
من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر. ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه

قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه
بالنية الا ترى انه روي لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه
كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات الله ومنه عزمات الملوك
وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك
لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول
بالمصدر واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون
مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك
جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت
مامورا بها في ساير الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها
موصى بها في الاديان كلها ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله
لا يحب كل مختال فخور تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده
وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب
البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك
وصفحته كما يفعل المتكبرون. اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال
بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة
والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى
ولا تكونوا كالذين نسوا الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس
والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا
بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عايشة في عمر رضي الله عنهما كان
اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد
بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية. واغضض

من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه
انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه
ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره
مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل
الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب ان يجري ذكر
الحمار في مجلس قوم من اولي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت
منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء
الكلام عن لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا
مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه
وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع
قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان
كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس
فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السموات الشمس
والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب
وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء
والقاف تقول في سلخ صلخ وفي صقر سقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته
فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله عز وجل خلق العالم
كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة
من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى
الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان
قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض
راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان

وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم با
لمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة
لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام
والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام
والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية
الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوا
رح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى ان [illegible]
به اهل الباطل الاخذ بالانفاس واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ابا
ءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء
الشيطان اياهم الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت
ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل
وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع
الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى
من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه
بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور
اي صائرة اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور
نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ قرئ يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض
احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع
كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل
بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم
التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه و
الغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم

من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد
قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه
يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك
يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان
لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان
ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت كون البحر ممدودا بسبعة ابحر او على
الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة
ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ يمده بالتاء
والياء فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت
اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة
الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع
والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام
وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت
ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت
هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك
من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان
قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل
الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما
فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله
قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت
جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم

ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند
بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان
يقولوا لرسول الله الست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء
ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا ينفد كلماته وحكمه
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اي
سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت
النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل
وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة
لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير
كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة
والقمر الى آخر الشهر عن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل
ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك
على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجري
لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه
الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل
واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه
وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى
الا ترى ان جري الشمس مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص بآخر
السنة وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك بان الله هو الحق
وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير ذلك الذي وصف من عجائب قدرته
وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله
انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الهيته وان من دونه باطل الهيته وان الله هو العلي

هو

الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحى اليك من الآية بسبب بيان ان الله هو الحق
وان ما يدعون من دونه باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وقرئ الفلك بضم اللام وكل
فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين
وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على
بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل
ختار كفور يعني الموج وتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب
او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم
خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر
يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل
مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد
لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال فانك لو رأيت ابا عمير ملأت يديك من
غدر وختر يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور لا يجزي لا يقضي
عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي
عن احد بعدك وقرئ لا يجزي لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه
فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن
جبير الغرة بالله بان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك
لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور
غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت قوله ولا مولود هو جاز
عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان
الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا

السنن ان الخطاب للمؤمنين وغلبتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد
حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم في الآخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا
عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد
منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم يقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده
لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي
ارض تموت ان الله عليم خبير روي ان رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت
حباتي في الارض قد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت
على ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي فقد عرفته
فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن
ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك
والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمته معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا
اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء انه اهمته معرفة مدة
عمره فرأى في منامه كان خيالا فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى
قال ابو حنيفة تأويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته
لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة اي ان مرسيها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا
تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك
ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر
وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري
نفس باي ارض تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها
فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي ان ملك
الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال

ملك الموت فقال إنه يريدني وسأل سليمن أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن كان دوام نظري إليه تعجباً منه لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يلتصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمن كان له لقمن رفيقاً يوم القيمة وأعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الم على أنها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وإن جعلتها تعديداً للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلاً من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله أم يقولون افتراه لأن قولهم هذا مفترى إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولاً أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكاراً لقولهم وتعجيباً منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته

فإن قلت كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه أي لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزاً للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما قولهم افتراه فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه ما أتيهم من نذير من قبلك كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشاً لم يبعث الله إليهم رسولاً قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة

الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون فإن قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين أحدهما أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً أي ناصراً ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم والثاني أن الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير

يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون الأمر المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً من السماء إلى الأرض ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده ويرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلاً ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ثم يعرج إليه أي يصير إليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضاً ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم

الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من
قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة
مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة
وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر
امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان يقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير
اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرأ ابن ابي عبلة يعرج على البناء
للمفعول وقرئ يعدون بالياء والتاء **ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن
كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين** احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه
الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت
الى حسن واحسن كما قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق
وايقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل
شيء خلقه فقد احسنه **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون** سميت الذرية نسلا لانها تنسل
منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله
في احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو
كقوله ويسئلونك عن الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو الله به و
بمعرفته **وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد** وقالوا اي قيل القايل ابي بن
خلف ولرضاهم اسند اليهم جميعا وقرئ ائنا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا
ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في
الارض بالدفن فيها من قوله واب مضلوه بعين جلية وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهم
ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن صللنا من قولهم صل اللحم و
اصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب الظرف

في اذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا **بل هم
بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون** لقاء ربهم هو الوصول
الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ
في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا
بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله
عز وجل على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان
واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في
مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت
الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه
اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها **ولو
ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون**
ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان احدهما ان يراد به التمني
كانه قيل وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله كما كان الترجي
في لعلهم يهتدون لانه تجرع الغصص منهم ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم
على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية
قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوء حال ترى ويجوز ان يخاطب
به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد
به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي
وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى
ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا
فلا يغاثون يعني ابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا**

نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون لآتينا كل نفس هداها على طريق الالجاء والقسر
ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب
على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق
العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان
خلاف التذكر يعنى ان الانهماك فى الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة
وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اى جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو
بمعنى الترك اى تركتم الفكر فى العاقبة فتركناكم من الرحمة وفى استيناف قوله انا نسيناكم
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اى ما انتم فيه من نكس
الرؤس والخزى والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد فى جهنم بسبب
ما عملتم من المعاصى والكبائر الموبقة انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا
بحمد ربهم وهم لا يستكبرون اذا ذكروا بها اى وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا
على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه
حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا
العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع
عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته
وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن
انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء
مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى
ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين
كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب
سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة المغرب
الى صلوة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها

فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ما اخفى لهم على البناء للمفعول ما اخفى لهم
على البناء للفاعل وهو الله تعالى وما اخفى لهم وما نخفى لهم وما اخفيت لهم الثلثة للمتكلم وهو الله
سبحانه وما بمعنى الذى او بمعنى اى وقرئ من قرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس
كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبى مرسل اى نوع عظيم من الثواب ادخر
الله لاوليك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة
ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبى صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وعن الحسن
اخفى القوم اعمالا فى الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت افمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون
واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذى كنتم به تكذبون كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى
بدليل قوله فاما الذين امنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا
خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس قال تأوى اليها
ارواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء
لهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأويهم النار اى ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد
فجنة مأويهم النار اى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون العذاب الادنى عذاب الدنيا يعنى القتل
والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر
عذاب الاخرة اى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اى يتوبون
عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة
الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة

من قرا لعلهم يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة و
لعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت
مما يكون لم يكونوا ذايقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال
عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده
فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم
فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في
اقتداره كما اذا اردت ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق
بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر
بين علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد
اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا
واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي
اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمومنين والفاسقين فتناولتهما وكل
من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله
مومنا في عشر آيات وسماك فاسقا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من
المجرمين منتقمون ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل
آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل
تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت
بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون
قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة
الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفده هذه الفايدة ولقد آتينا
موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقايه وجعلناه هدى لبني اسرايل الكتاب للجنس والضمير

في لقايه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي
فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسيل الذين يقرون الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقايه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن
حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى
لقومه وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون وجعلنا منهم ايمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في
التوراة من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل
اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ايمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من
نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقايك موسى ليلة الاسرا او يوم القيمة
وقيل من لقا موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما
صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى
لبني اسرايل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في
دينه من المبطل اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات
افلا يسمعون الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير
في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال
جاني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه و
معناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدما والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراة
بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم
على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز
فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون الجرز الارض التي جرز نباتها
اي قطع اما لعدم الما واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل
عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين به
بالما ياكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ ياكل بالياء ويقولون متى هذا

الفتح ان كنتم صادقين الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان
المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون
قالوا متى هذا الفتح اى فى اى وقت يكون ان كنتم صادقين فى انه كائن ويوم الفتح
يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم
بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون فان قلت قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا عن
سؤالهم قلت كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب
والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا
تستهزءوا فكانى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فى ادراك
العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على
تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد
ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق
فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة
عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح
الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعنى انهم هالكون لا محالة
او وانتظر ذلك فان الملائكة فى السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيا ليلة القدر
وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهى ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى
اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا عن زر قال قال لى ابى بن كعب كم تعدون
سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به ابى بن كعب ان كانت
لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا

فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابى رضى الله عنه ان ذلك من جملة
ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها
فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبى والرسول
فى قوله يا ايها النبى اتق الله يا ايها النبى لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه
باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها
بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه فى النداء فقد اوقعه فى الاخبار فى قوله محمد
رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذلك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين
لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد
به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره فى النداء لقد جاءكم رسول من
انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله
احق ان يرضوه النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبى ولو
كانوا يؤمنون بالله والنبى اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه
وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين
لا تساعدهم على شئ ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم
اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة وروى ان رسول الله صلعم
لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبنى قينقاع وقد
بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى
منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة
بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام
معهم عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله
وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا
تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى ان اهل

مكة دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن
ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت • ان الله كان عليما
بالصواب من الخطاء والمصلحة من المفسدة • حكيما لا يفعل شيئا ولا يامر به الا بداعي الحكمة
واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك • ان الله الذي يوحي
اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة و
من يعملون بالايذاء بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله وكفى با
لله وكيلا وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره • وكيلا حافظا موكولا اليه
كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن
امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل
والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل
باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها
واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها
عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل
زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف
فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد
دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق
عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا
مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب
في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله تعالى هذه الآية وقوله ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين

وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد
فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجليه
فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك
والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في
الظهار والتبني • وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل
سها في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم • وعن الحسن نزلت في
ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني • والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية
على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين
البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة
في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي
والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار
وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة • وتظاهرون من ظاهر
وتظاهرون من تظاهر بمعنى تتظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تتظهر وتظهرون من
ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر
من امرأته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال
لبيك واف الرجل اذا قال اف واخوات لهن • فان قلت فما وجه تعديته واخواته
بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر
منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها
تحرز منها وظاهر منها حاذر وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى
من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف
واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان
يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره
يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر

يجيء بها أحدهم على عود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو أن إتيان المرأة وظهرها
إلى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون إذا أتيت المرأة ووجهها
إلى الأرض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها
بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك فإن قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول
وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء و
شقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت إن شذوذه عن القياس كشذوذ
قتلاء وأسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بأفواهكم
هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول
إلا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي إلا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو
سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط
والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم
وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا
آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم
وكان الله غفورا رحيما وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه
إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال
فلان بن فلان فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم
في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد الأخوة في الدين والولاية
فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعا على الابتداء والخبر
محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من قبل
مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا إثم عليكم
إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين
ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما أخشى عليكم الخطأ
ولكن أخشى عليكم العمد وقوله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول

لعموم خطأ الأمة وعمدها فإن قلت فإذا وجد التبني فما حكمه قلت إذا كان المتبنى
مجهول النسب وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان عبدا له عتق مع ثبوت
النسب وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكن يعتق عند أبي حنيفة
وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن كان
عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله
من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا
النبي أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ولهذا أطلق ولم يقيد
فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم
من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه
إذا أعضل خطب ووقاءه إذا لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم
ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه
لأن كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما
صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار أو
هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف
رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا
إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته
من كانوا وإن ترك دينا أو ضياعا فإلي وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة
لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين وأزواجه أمهاتهم تشبيه لهن بالأمهات
في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى
ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك
قالت عائشة رض لسنا أمهات النساء تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات

عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن ولذلك لم يثبت
لهن سائر احكام الامهات ۞ كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين
وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتالف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا
الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة ۞ في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى
الله الى نبيه وهو هذه الاية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم
من المومنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقربا من هولاء بعضهم
اولى بان يرث بعض من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي واولو الارحام
بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق
الهجرة فان قلت مم استثنى ان تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان
كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية يريد انه احق منه في كل نفع من ميراث
وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية ۞ والمراد بفعل المعروف التوصية
لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا ۞ والمراد بالاولياء
المومنون والمهاجرون للولاية في الدين ۞ ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا وتفسير
الكتاب ما مر آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما مر من الاحكام **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما** واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم
بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ۞ ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
وانما فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة عند تواقف الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم
ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم
فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مومنين او ليسال المصدقين للانبياء
عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسال الانبياء ما الذي
اجابتهم به اممهم وتاويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله على نوح فمن بعده قلت هذا العطف

لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم
افضل هولاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه
فان قلت فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الآية على
طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام
بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد
القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما
من الانبياء المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به
ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة
من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ
اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله واعد للكافرين قلت
على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين
واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب المومنين
واعد للكافرين **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم
ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا** اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب
وهو يوم الخندق ۞ اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ۞ وجنودا لم تروها
وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة مظلمة شاتية فاخصرتهم
وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور
وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جانب عسكرهم
فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير
قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان
الفارسي رضه ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم

وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المسلمون كل ظن ونجم
النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر
لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش
وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من
أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود
من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي
بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر تعملون قرئ بالياء والتاء إذ جاءوكم من فوقكم
ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك
ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا من فوقكم من أعلى الوادي من قبل المغرب قريش
تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا زاغت الأبصار مالت عن سننها
ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها
لشدة الروع الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام
والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الروع أو الغضب أو الغم الشديد
ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره
ويجوز أن يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة
وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف
القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بألسنتهم فظن
الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون
فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن المسلمين
يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف
وهو القياس وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية
من قال أقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل
أيضا إجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن في الإمام بألف وعن أبي عمرو

إشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج
إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا إلا غرورا قيل
قائله معتب حين رأى الأحزاب قال محمد يعدنا فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر
أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام
لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون
إلا فرارا طائفة منهم هم أوس بن قيظي ومن تابعه على رأيه وعن السدي عبد الله
بن أبي وأصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية
منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها أي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه
أو تقيمون فارجعوا إلى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه
وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا وأسلموا محمدا وإلا فليست يثرب لكم بمكان قرئ
عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور
المكان عورا إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن يكون عورة
تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لأنها غير محرزة
ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك
وإنما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما
تلبثوا بها إلا يسيرا ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان
داره من أقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي
يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم
ناهبين سابين ثم سئلوا الفتنة عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة أي
الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاءوها وفعلوها وقرئ لآتوها
لأعطوها وما تلبثوا بها وما ألبثوا إعطاءها إلا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من
توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون
بإعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة

والأحزاب الذين ملأوهم هولاً ورعباً وسولا والأحزاب كأنهم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا بشيء وما ذلك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا** عن ابن عباس عاهدوا رسول الله ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد ألا يفروا بعدما نزل فيهم ما نزل مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به **قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا** لن ينفعكم الفرار مما لابد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب **قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا** فإن قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء قلت معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع **قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا** المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لإخوانهم من ساكني المدينة من أنصار رسول الله ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم وهلموا إلينا أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم إلا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا **أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا** أشحة عليكم في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب

عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون إليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترءوا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليهم ونصب أشحة على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فإن قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا فإن قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا قلت معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا** يحسبون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وإن يأت الأحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا إلا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بديا بوزن عدي ويساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان عليكم أن تؤاسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسكم فتؤازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**

لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا فان قلت فما حقيقة قوله لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه
اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون
منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان
يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجوا الله بدل من لكم كقوله للذين
استضعفوا لمن آمن منهم يرجوا الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي
فضل زيد او يرجوا ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف
وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي
برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه
ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولما
رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم
الا ايمانا وتسليما فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال
او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء
ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضائه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما نذر رجال من الصحابة
انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم
عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة و
مصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني
عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد على وجه الارض فلينظر الى طلحة
فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت

فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه
يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني
اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن
بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن
في طرح الجار وايصال الفعل واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا
للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان
مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت
طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل
المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة
الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما
استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا ويتوب عليهم
اذا تابوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان
الله قويا عزيزا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن
لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان يكون الثانية
بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين
ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل
الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية
ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في
ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم

والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا
رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح وان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا
عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس
ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس
العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين
ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال
على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذرا
ريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة
الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين
وضمها وتأسرون بضم السين ويروى ان رسول الله جعل عقارهم للمهاجرين دون
الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم
بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله
وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل
هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد
نساءهم يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن
سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول
الله فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت
الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك

ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار
الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا
ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري
فقالت اخترت نفسي او قال لها اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس
في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا
ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي
اختيارها على الفور وهو عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن
وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها
لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي أفكان طلاقا وعن علي رضي اذا اختارت زوجها
فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت
زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي
ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن
لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني
وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة
ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة
واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احداهما
يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من
طلق بعدما يفرض ويدخل بها وخاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال متعها ان
كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل
مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة
والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من
خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة

من قراءة أمتعكن وأسرحكن بالرفع فلت. وجهه الاستيناف. سراحا جميلا من
غير ضرار وطلاقا بالسنة. يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا منكن للبيان لا للتبعيض. الفاحشة السيئة البليغة
في القبح وهي الكبيرة. والمبينة الظاهرة فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر
وقيل عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به
ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الإفك
وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة
قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس
لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن
من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد
قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي
الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى
أن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر. وكان ذلك على الله يسيرا إيذان بأن
كونهن نساء النبي ليس يغني عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب ب
وكان داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه وقرئ يأت بالياء والتاء ومبينة
بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين. يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف
ونضعف بالياء والنون. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين
وأعتدنا لها رزقا كريما وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون
والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى
يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض
وقلن قولا معروفا أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا
فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن

كجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد
منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم
على الحق المبين. إن اتقيتن إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات. فلا تخضعن
بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات.
فيطمع الذي في قلبه مرض أي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على
أنه نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل فلا تخضعن
فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها وإسناد الفعل
إلى ضمير القول أي فيطمع القول المريب. قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة
من غير تخنث أو قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الأولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر
حذفت الأولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها
والأصل اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر أبو الفتح
الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار إذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها
ألا ترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة. والجاهلية الأولى هي القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم كانت المرأة تلبس
الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح
وقيل بين إدريس ونوح وقيل زمن داود وسليمن والجاهلية الأخرى ما بين عيسى
ومحمد ويجوز أن يكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام فكأن المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في
الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لأبي الدرداء إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم إسلام قال بل جاهلية كفر

امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية مما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للقبيحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالادحاض بالارجاس واما المحسنات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرايع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح للنبوة ومن يصلح لان يكونوا اهل او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلعم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل على الله من اسلم وجهه الى الله و المومن المصدق بالله وبرسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او بلسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء ووهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المومنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مومن ومومنة فرجع الضمير على المعنى

لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير **واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشيه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا** للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفوا عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شي قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت ما اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضها لو كتم رسول الله صلعم

رد لهذا القول الاخير

شيئا مما اوحى اليه لكتم هذه الآية فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الحال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله ابن ابي سرح واعتراض عثمان رضه بشفاعته له ان عمر رضه قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشي الا والشي في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شي يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله تعالى وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق

بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا
عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فان المهاجرين
حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى أن الرجل منهم اذا كان له امرأتان نزل عن
احديهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه
القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من
امهات المؤمنين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري أن نعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ
في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات
في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت
الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق أن تخشاه ما هي قلت واو الحال
أي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس
وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله او واو العطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك
امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك
اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها
حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والله
الذي لا اله الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قرأها
علي بن ابي طالب على النبي صلعم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان
امر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين في تحريمهن عليهم
بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو
امر الله فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر

لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على
النبي من حرج كأنه قيل سن ذلك سنة في الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الاقدام على ما
اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت
لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة في الذين خلوا الانبياء
الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع
والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا
مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله وكفى بالله حسيبا وصف الانبياء بأنهم لا يخشون الا الله تعريض بعد
التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق أن تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا
على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ما كان محمد ابا احد من رجالكم
أي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده
من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب
التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة
بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه
حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين
يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى
انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب
والقاسم وابراهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما
أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا
رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين
حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد
ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا الى أن نيف احدهما

على الأربعين وأخر على الخمسين توي ولكن رسولَ الله بالنصب عطفا على أبا أحد
وبالرفع على ولكن هو رسولُ الله ولكنّ بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكنّ رسول الله
من عرفتموه أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع
وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فإن قلت كيف
كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ
أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا إلى قبلته
كأنه بعض أمته يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا اذكروا
الله أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله
وأكثروا ذلك بكرة وأصيلا أي في كل الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر الله على فم كل مسلم وروى في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله و
الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وعن مجاهد هذه كلمات
يقولها الجنب والطاهر والمحدث أعني اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل
كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص
جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه
ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره
من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس المآثم
على سائر أوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على
العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر تكثير الطاعات والإقبال على
العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا
وهي الصلوة في جميع أوقاتها لفضل الصلوة على غيرها أو صلوة الفجر والعشائين لأن
أداءها أشق ومراعاتها أشد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى
النور وكان بالمؤمنين رحيما لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده
أستعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة

في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي
ترحم عليك وترأف فإن قلت قوله هو الذي يصلي عليكم إن فسرته بيترحم عليكم ويترأف
فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلوتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا
لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله أي أحياك
وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لاتكالك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه
على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى
هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذكر والتوفر على
الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما
دليل على أن المراد بالصلوة الرحمة ويروى أنه لما نزل قوله إن الله وملائكته يصلون على
النبي قال أبو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزلت
تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون
يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم
وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرناه وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم و
بشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما
قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والأجر الكريم الجنة يا أيها النبي
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا شاهدا على
من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول
الشاهد العدل في الحكم فإن قلت كيف كان شاهدا وقت الإرسال وإنما كان شاهدا
عند تحمل الشهادة أو عند أدائها قلت هي حال مقدرة كمسألة الكتاب مررت برجل
معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا الصيد غدا فإن قلت قد فهم من قوله إنا أرسلناك
داعيا أنه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله بإذنه قلت لم يرد به حقيقة الإذن
وإنما جعل الإذن مستعارا للتسهيل والتيسير لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف

الاذن تسهيل وتيسير فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حكم التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك **وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا** الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوهم به **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد

له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه **يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا** النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف عدوة الله ووليه والتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل تقوم تلك مقام المساس قلت نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام

أو مندوب اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا
يجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت
مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة
وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك
وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان
وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا
ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما
اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما
فرضها وتسميتها في العقد فان قلت لم قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك
واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله
الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره
بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان
وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها
وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف
وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة
سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب
والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب
واما من كان له عهد فالسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان
فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال
دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم
افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء

واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات
ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث
وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت
حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرا الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف
اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى
وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرا ابن مسعود بغير ان فان قلت
ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي
الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها
وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم
عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت
للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص
تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها
طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ
الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال
الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان
اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي
ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر
الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة
مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة
بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية
والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم
على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله

من دون المؤمنين ومعنى جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك
من دون المؤمنين ومعنى الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين
في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في
اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج
لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل
وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها
وقرئ خالصة بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل
خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا
للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده روي أن أمهات المؤمنين حين
تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا
ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك
ما شئت وروي أن عائشة قالت إني أرى ربك يسارع في هواك ترجي من تشاء منهن
وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما ترجي بهمز
وبغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع
من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن
شئت او تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه
قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو
ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها
وروي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان
يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب
أرجى خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها
تركت

وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك ذلك التفويض إلى
مشيئتك أدنى إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء
والإرجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا
مثل ما للأخرى وعلمن أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب
التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في
قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسوله وبعث
على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الأعين وتقر أعينهن على البناء
للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى
ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على
التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من
أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا لا يحل وقرئ بالتذكير
لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل
أجوز من بعد من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج
كما أن الأربع نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب ولا أن تبدل بهن ولا أن تستبدل
بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن
ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة
بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة
أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية
زينب بنت جحش الأسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية من في أزواج لتأكيد
النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد
النساء اللاتي نص إحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب أو من
الكتابيات أو من الإماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية

كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته
لصاحبه ويحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير
استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستيذان قال يا رسول الله ما
استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الحميلة إلى جنبك فقال
صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق
فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضه من هذا يا رسول
الله قال أحمق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضه ما مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء يعني أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها إما أن يكون
بالسنة وإما بقوله إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو
أعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج
لأنه موغل في التنكير وتقديره مفروضاً إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية
امرأة جعفر بن أبي طالب رضه والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن ٥ واستثنى ممن حرم
عليه الإماء ٥ رقيباً حافظاً مهيمناً فتحذروا عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا
دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم
وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان
عند الله عظيماً إلا أن يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين
حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل لا تدخلوا بيوت
النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا يا
هؤلاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء
خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي إلا أن يؤذن له إذناً خاصاً وهو الإذن إلى

الطعام وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجروراً صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى
على غير ما هو له فمن حق ضميره أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إناه أنتم
كقولك هند زيد ضاربته هي ٥ وإنى الطعام إدراكه يقال أنى الطعام إنىً كقولك
قلاه قلىً ومنه قوله من حميم آن بالغ إناه وقيل إناه وقته أي غير ناظرين وقت الطعام
وساعة أكله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق
وشاة وأمر أنساً أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجاً يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج
إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال ارفعوا طعامكم و
تفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام
كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس
يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متولياً خرجوا
فرجع ونزلت ٥ ولا مستأنسين لحديث نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم
ببعض لأجل حديث يحدثه به أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه
وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين
لإبرامه فيستحيي منكم من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق
يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال
قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله
به الثقلاء وعن عائشة حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا
وقرئ لا يستحي بياء واحدة ٥ الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم
يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن ٥ متاعاً حاجة فاسألوهن المتاع قيل إن عمر رضه كان يحب
ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول
لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت
أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال

لئن اصطحبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لازواجكن على الرجال الفضل فقالت زينب
يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم
يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انُنهى ان نكلم
بنات عمنا الا من وراء الحجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان ذلك
محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن
بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته
حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا
مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى
يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا
بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما
ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها
بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفتيان ان الزوج الثاني في هدم الثلث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا
او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل
تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل لا جناح عليهن في آبائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن
واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء
والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح
عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان
مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل
واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما

وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على
فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار
واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريقة التقوى
في حفظهما وليكن عملكن في الحجب احسن ما كان وانتن غير محجبات ليفضل
سركن علنكن ان الله على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا
لا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب
الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه وسلموا اي قولوا
الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة
وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت
عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وروي انه قيل يا رسول الله ارايت
قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه هذا من العلم المكنون ولولا
انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي
علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين ولا
اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته
لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في
آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها
في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه
عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة امي شرط
في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا
يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رض فقد
جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة

على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وقوله عليه السلام
اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع
كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة
كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدي إلى
الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يقفن مواقف التهم إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد
لهم عذاباً مهيناً يؤذون الله ورسوله فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل
ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا
يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته
مجازاً فيهما جميعاً وحقيقة الإيذاء صحيحة في رسول الله صلعم لئلا أجعل العبارة
الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل في أذى الله تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث
ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون
في آياته وصفاته وعن رسول الله صلعم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن
يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه إياي فقوله إني اتخذت ولداً وأما
أذاه فقوله إن الله لا يعيدني بعد أن بدأني وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير
الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل
طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين
والمؤمنات لأن أذى الله تعالى ورسوله لا يكون إلا غير حق أبداً وأما أذى المؤمنين والمؤمنات
فمنه ومنه والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً
وإثماً مبيناً ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت في
ناس من المنافقين يؤذون علياً رض ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا على عائشة رض

كذبوا
أي يؤذونه بالنميمة

وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي
كلباً أو خنزيراً بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة
لما فيه من الروعة عند كر الحول يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً الجلباب ثوب
واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على
صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل وقيل الملحفة وكل
ما يستتر به من كساء أو غيره وقال أبو زبيد مجلبب من سواد الليل جلباباً ومعنى
يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال
إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في أول
الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين
الحرة والأمة وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي
حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها
أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس
والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك أدنى أن يعرفن أي
أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فإن قلت ما معنى
من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما
أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار
كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها
وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني
عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي
أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن
منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء وكان الله غفوراً لما سلف منهن من التفريط
مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون ٥

في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا الذين في قلوبهم مرض قوم كان بهم
ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وهم الزناة واهل الفجور من قوله فيطمع الذي في قلبه
مرض والمرجفون في المدينة ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين
يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من
الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة
عن فجورهم والمرجفون عما يولفون من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل
التي تسوؤهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والا يساكنوك
فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو
التحريش على سبيل المجاز ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ملعونين نصب على
الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال
معا كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما
بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك
الا اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك
عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا
يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك
بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه
جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان
اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حالته عن حال المعطوف عليه سنة
الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا سنة الله نصب في موضع مصدر
مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل
يعني كما قتل اهل بدر واسروا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام

الساعة استهزاء على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة
وفي كل كتاب فامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع
عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله صلى الله عليه وسلم انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا
للمتعنتين وقريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد وقرئ
تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن وتقلب على ان
الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا
غلت فتراماها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيآتها
او طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع
على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون
او هو محذوف وهو اذكر واذا انتصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفرة الذين
لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت
جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع
وان ما بعده مستانف ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقرئ كثيرا
تكثير الاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا للضلال
وضعفا للاضلال يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك يا ايها الذين آمنوا لا
تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها لا تكونوا كالذين آذوا
موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى
موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم
اياه بقتل هارون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم
ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل

ثم قالوا لعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله تعالى على انه بريء منه وجيها ذا جاه
ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف
بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود والاعمش وابو حيوة
وكان عبدا لله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرا
وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه
ليست كذلك فان قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية
او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول والمقول مؤداه ومضمونه
وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز
فوزا عظيما قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال
سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا
فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب
لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم
وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة
عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة
مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع
النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف
عن الاذى والداعي الى تركه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز
العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها
وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت
لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتاتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي يصح منها

وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة
واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة
ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات
فيما يصح ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود
كما ان الامانة لازمة الاداء عرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن
قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج
عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون
ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا
يريدون انه يبذل النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل
اخوك الذي لا تملك الحس نفسه ✿ وترفض عند المحفظات الكتائف ✿ اي لا يمسك الرقة
والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك
لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان
يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها
ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو
اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما
خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به
واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل
الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب
وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال
اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم
محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه
فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته
اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت

ووجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت
حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا
يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة و
المعرفة وليس كذلك ما في هذه الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه
غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به
غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره
مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كالمحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها
واشفقن منها ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز
لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب
وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى
قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب
على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير
ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله
ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه
المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته و
حملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب
فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت الحمد في الدنيا واجب لانه على نعمة متفضل بها وهي
الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها

انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش
بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ثم ذكر
مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز
والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات
وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج
والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال
وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع
كثرة نعمه وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ
علي بن ابي طالب ننزل بالتشديد والنون وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة
قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك
لهم مغفرة ورزق كريم قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة
او استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا
الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه
مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم
امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي
لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته
لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع
منزلة كانت الشهادة اقوى وآكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل
للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان
قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب
اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم

وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يعزب عنه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته
بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت
الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم
عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة
لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة
وهو قوله ليجزي الذين فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان
المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم
تعليلا له قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرا بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى
اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة
لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر في الزاي
وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة
ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء
وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع
عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب
عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه
فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر
من ذلك ولا اكبر قلت يابى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه
للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح
نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا
في اللوح والذين سعوا في آياتنا معاجزين لهم عذاب من رجز اليم وقرئ معجزين و
اليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى الذين اوتوا العلم الذي
انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ويرى في موضع الرفع اي ويعلم

اولوا

اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء
اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك
الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرا بالرفع جعله مبتدا والحق خبرا والجملة
في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا
العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا
ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال
الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله
كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد الذين كفروا
قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم باعجوبة
من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا
ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد افترى
على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال
سبحانه ليس لمحمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون
الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق
وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم
في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال
لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرا زيد بن
علي ينبيكم فان قلت فقد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي
القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل
من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما
سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم
لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو
عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين

بمعنى مفعول من جدّه اذا قطعه وقالوا الذي جدّه الناسج الساعة في الثوب ثم شاع
ويقولون ولهذا للملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله إن رحمة الله قريب ونحو
ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله تعالى آلسحر وكلتاهما
همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو آلسحر وهو
خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما
معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال
اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شايعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على
رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا
يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها
للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض
إن نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب
أعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان
بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم
يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلعم
وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر
فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع
له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب
من يكفر به وقرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله
ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست
بقوية ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد يا جبال
اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ
أوبي وأوبي من التأويب والأوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح

كلما رجع فيه لانه اذا رجّعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا
كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح
على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير با
وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا
معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا
النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير قلت
كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء
الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا
واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت
الا وهو منقاد لمشيئة الله غير ممتنع على ارادته وألنا له الحديد وجعلناه له لينا
كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة
وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة أن اعمل سابغات وقدر في السرد
واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية
وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق
منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا
فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في
صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا
انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه عز وجل ان يسبب له ما يستغني به عن
بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم
الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله ولسليمان الريح غدوها
شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم
عن امرنا نذقه من عذاب السعير وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة
فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها

بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح
فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض
اصحاب سليمن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه
ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطر اي
فان قلت ماذا اراد بعين القطر قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله
كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل
اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام باذن ربه بامره
ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه
وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط
من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء من محاريب و
تماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي
الشكور المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب
لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين و
الصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس
فيعبدوا نحو عبادتهم فان قلت كيف استجاز سليمن عليه السلام عمل التصاوير قلت
هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب و
عن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان
كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير
حيوان او تصور محذوفة الرؤس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين
فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما
والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل
كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع

راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية ما
قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر
لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اي شاكرين
او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له
ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا
انتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه
قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا اكثر اوقاته وعن ابن عباس
من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر
وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي
وعن عمر رضي انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال
الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك
القليل فقال عمر كل الناس افقه من عمر فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا
دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين وقرئ فلما قضي عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة
التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا
اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته
ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لانه ينسا
بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس
ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءة على مفعالة كما يقال في الميضاة
ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها
لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منساته تبينت الجن من تبين الشيء اذا
ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور
له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم

علما يقينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة أبي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمن ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله تعالى فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلوته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمن قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل

ان يتمه فوصى به الى سليمن فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا منه ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر سليمن ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور وقرئ لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان تجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم واشكروا له اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي

كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين
تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها
بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدةً طيبةً وربًّا غفورًا با
لنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل العرم الجرذ الذي
نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت
به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم فلما طغوا وقيل
بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف
لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي
الحجارة المركومة وقيل للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل
العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرْم بسكون الراء وعن الضحاك
كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين
والإضافة والأكل الثمر والخمط شجر الأراك وعن أبي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال
الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله والأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم
منه وأجود عودا ووجه من نوّن أن أصله ذواتي أكلٍ أكلِ خمط فحذف المضاف وأقيم
المضاف إليه مقامه أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ومن أضاف وهو
أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط في معنى البرير كأنه قال ذواتي برير والأثل والسدر
معطوفان على الأكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيئا بالنصب عطفا
على جنتين وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله
قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور وقرئ وهل يجازى
وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل يُجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء
لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر
يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة

تستعمل

تستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله
جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى إلا الكفور بمعنى وهل يعاقب
وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى إلا الكفور على اختصاص الكفور
بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب
بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى
إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن
الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها
ليالي وأياما آمنين القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها
من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة
لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية
والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج
إلى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها قلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير
وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه فإن قلت ما معنى قوله ليالي
وأياما قلت معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف
باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها
وامتدت أياما وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في كل حين وزمان
لا تلقون فيها إلا الأمن فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث
ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعّد
ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب
كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر
أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا
الأزواد فعجل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعّد بين أسفارنا على النداء

واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وبين
سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على
قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه
احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس
مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي
سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب
وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس
ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى
صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن
فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله
اغواءهم يقولون صدق ظنك بالتخفيف وبرفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ
بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه
انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما
منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه
يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم وقلل
المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لأحتنكن ذريته الا
قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة
ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها
وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ
محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قل لمشركي قومك

ادعوا

ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون
الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما
تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او
شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق
ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على
تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف
يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير
المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا
يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم
ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد
فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما
حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه
موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه فاذا كان
مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير تقول
الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول
القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين
الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا
تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد
لعمرو اي لاجله فكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه
وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع
عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن
وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه

لا يطلق الإذن إلا بعد مليّ من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى إذا فزّع عن قلوبهم أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق أي القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضه عن النبي صلعم فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فزّعته الشفاعة وقرئ أذن أي أذن له الله وأُذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فُزِع مخففا بمعنى فُزِّع وقرئ فَزَّع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفُرِّغ أي نفي الوجل عنها وأفني من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل وأسند إلى الجار والمجرور كما تقول دفع إلى زيد إذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبي علقمة أنه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحقُّ بالرفع أي مقوله الحق وهو العلي الكبير أي ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أمره بأن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال فكأنهم

كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من إلزام الحجة ونحوه قوله تعالى قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أوصل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء فإن قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم فإن قلت ما معنى قوله أروني وكان يراهم ويعرفهم قلت أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على حالة القياس إليه والإشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على

تعاجيب عظيم وأن لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كأنه قيل
أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده وهو ضمير الشان
كأنه قوله قل هو الله أحد وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس
لا يعلمون إلا كافة للناس إلا إرسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم
أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ
فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن
جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة
تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن
يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوي له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب
الخطأين ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو
ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين
استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف
الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه
اليوم فإن قلت فما تأويل من أضافه إلى يوم أو نصب يوما قلت أما الإضافة
فإضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم
بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن
يكون الرفع على هذا أعني التعظيم فإن قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت
ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد
مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم ولا يستطيعون
تأخرا ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار
مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم
فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل

الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل
عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله
عليه السلام أو للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها
بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الأتباع والمستكبرون هم الرؤس
والمتقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ
جاءكم بل كنتم مجرمين أولي الاسم أعني نحن حرف الإنكار لأن الغرض إنكار أن يكونوا
هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من
قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين
بعد إذ جاءكم بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم
منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى
فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فإن قلت إذ وإذا من الظروف
اللازمة للظرفية فلم وقعت إذ مضافا إليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره
فأضيف إليها الزمان كما أضيف إلى الجمل في قولك جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ
وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا
العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون لما أنكر المستكبرون
بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين
أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم
بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم
إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع
في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين
على الإسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل
والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فإن قلت ما وجه

الرفع والنصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم او
مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان
لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا مر اولا كلامهم
فجي بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جي بكلام آخر للمستضعفين
فعطف على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت
الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله
اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون
على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالتصريح
للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك
بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد وما ارسلنا في قرية من نذير
الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن
بمعذبين هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر
بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر
بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوا به وقاسوا امر الآخرة الموهومة
او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم
ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا
انهم اكرم على الله تعالى من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقد ابطل الله حسبانهم بان
الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي
وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب
الذي مبناه على الاستحقاق ومعنى قدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه

فليستعف وقرئ يقدر بالتخفيف والتشديد وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين
يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة
اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث
ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك
الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي تقربكم اي
بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة
كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال
لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا
الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة الضعف من اضافة
المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى
جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على
فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوع
الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو
خير الرازقين فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي
هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من
هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع
عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه خير الرازقين واعلى
رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده
او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق
الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي

لكم من منشئ لا يجب وواجب لا ينتهي ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم
كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون
هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر إياك أعني واسمعي
يا جارة ونحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد
علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على
طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد
وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا
لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وهي المفاعلة من الولي وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهي البعد والولي
يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا
وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن
من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين
حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن
وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت
فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون الأمر في ذلك اليوم
لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب
والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس
فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم
ذكر معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك
مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين الإشارة الأولى إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والثانية إلى القرآن والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين

الإسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم
وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر
دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجب من أمرهم بليغ كأنه
قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق
النير قبل أن يذوقوه إن هذا إلا سحر مبين فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على
أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا
إليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف
كان نكير وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيرا
ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا
به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال
كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم
وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين نحن أهل
كتب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله
وكذب الذين تقدموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض
ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم
إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال
هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس
الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع
وهما العشر والربع فإن قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب
الذين من قبلهم قلت معناه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم
التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم
فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد
معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الأولين فليحذروا من مثل

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو
إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله أن تقوموا
لله على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن
الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم
الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
ثم تتفكروا في أمر محمد صلعم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول
فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا
ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه
وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه
وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى
أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك
يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب
وأراد بقوله ما بصاحبكم من جنة أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا
لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان
فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب وإما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة
مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على
العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا
وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأنزههم نفسا وأجمعهم لما
يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق
على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه نذير
مبين فإن قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها
من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا

فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد
لقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله
وهو على كل شيء شهيد فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من أجر تقديره أي شيء
سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة
الأجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا
ولكنه يريد به البت لتعليقه الأخذ بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في
قوله قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وفي قوله قل لا أسألكم
عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك
المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم على كل شيء شهيد حفيظ
مهيمن يعلم أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء
قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد
ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أن
اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل
فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل إن واسمها أو على المستكن في
يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على المدح وقرئ الغيوب
بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب
وخفي جدا قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحي إما أن يبدئ فعلا أو يعيده
فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك
ومنه قول عبيد أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى جاء الحق
وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق
الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق
القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس أي ما ينشئ خلقا ولا يعيد

قال محي السنة ان الكفار كانوا يقولون انك ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي اى اثم ضلالتي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي من القرآن والحكمة

النبي والباعث سواء وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيد اى لا ينفعهم في الدنيا
والآخرة وقال الزجاج اى شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل
لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل ان ضللت فانما
اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب قرئ ضللت اضل بفتح العين
مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وقرئ اضل بكسر
الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله
فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما
اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس
كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء
وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان
يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره
اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت امرا عظيما
وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد
بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت
الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن
عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا
دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت
والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا ومن ظهر الارض الى بطنها
اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت
علام عطف قوله واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا واخذوا فلا فوت لهم
او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا
فوت

ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد
آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة والتناول و
التناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه
وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا
يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت
حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع
تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه
وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت
وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا وقد كفروا به من قبل
ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال
الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا
منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد
شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب
والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم
اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من
الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من
مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا
والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب
شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب
والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا
كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس
على دار التكليف وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب

ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل. باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم. مريب اما من اربه اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من ارأب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجازان الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها عن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها. وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة. وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح. رسلا بضم السين وسكونها. اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة. مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها. والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة. يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت ــــ لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة

قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلثة قلت

اولعله

اولعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بها اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح. وروي انه سأل جبريل صلوات الله عليه ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلعم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير. وروي عن رسول الله صلعم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة هو الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأتٍّ في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف. **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم** استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها. واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر

على أن لفظ المرجع الله لا تأنيث فيه، ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير، ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير. وقرئ: فلا مرسل لها. فإن قلت: لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره؟ قلت: يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه، وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه. فإن قلت: فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس؟ قلت: إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها، وهو الذي أراده ابن عباس إن قاله، فمقبول، وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب، وإن لم يشأ لم يتب، فمردود؛ لأن الله عز وجل يشاء التوبة أبدا، ولا يجوز عليه أن لا يشاءها. من بعده: من بعد إمساكه، كقوله: فمن يهديه من بعد الله، فبأي حديث بعد الله وآياته، أي من بعد هدايته وبعد آياته. وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك، الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه. يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون. ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن به وبالقلب، وحفظها عن الكفران والغمط، وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها. ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أيادي عندك، تريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها. والخطاب عام للجميع؛ لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن ابن عباس: يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم. وعنه: نعمة الله العافية. وقرئ: غير الله، بالحركات الثلاث، فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا، والنصب على الاستثناء. فإن قلت: ما محل يرزقكم؟ قلت: يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق، وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم، وأوقعت يرزقكم تفسيرا له، أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله. فإن قلت: هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل؟ قلت: نعم، إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ، وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة، وأما على الوجهين الآخرين

وهما الوصف والتفسير، فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق، فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق. والرزق من السماء المطر، ومن الأرض النبات. لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها، مثل يرزقكم في الوجه الثالث، ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى؛ لأن قولك: هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق، غير مستقيم؛ لأن قولك: هل من خالق سوى الله، إثبات لله، فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الإثبات. فأنى تؤفكون: فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك. وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور. نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها، وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له في الأنبياء قبله أسوة حسنة، ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه. وقرئ: ترجع بضم التاء وفتحها. فإن قلت: ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط، وهذا سابق له؟ قلت: معناه: وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب، أعني بالتكذيب عن التأسي. فإن قلت: ما معنى التنكير في رسل؟ قلت: معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك، وهذا أسلى له وأحث على المصابرة. يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب، فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الحياة الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله، ولا يغرنكم بالله الغرور: لا يقولن لكم: اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة. والغرور: الشيطان؛ لأن ذلك ديدنه. وقرئ بالضم، وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك، أو جمع غار كقاعد وقعود. إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. أخبرنا عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم صلوات الله عليه، وكيف انتدب لعداوة

جنسا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد بنا مما فيه هلاكنا
فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه
معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل
الا على معاداته ومناصبته في سركم وفي جهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه
بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة
والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع
الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما أفمن زين له سوء
عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
ان الله عليم بما يصنعون لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه أفمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين
له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون
العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله اياه وتخليته
وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح
حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابي نواس
اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم
فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله
في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة
فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف
لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك
للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه
ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كأن كلها صارت

حسرات لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا
يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله فعلى اثرهم تساقط
نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم
بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت
فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور وقرئ ارسل الريح فان قلت لم
جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح
السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل
فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا
بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت
صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول
كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته
عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها
لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة
الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع اي مثل احياء الموات
نشور الاموات وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية
ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم قال
فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش
كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك
هو يبور كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين
كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان
العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته
عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي
عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة
جميعا أي العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن ما تطلب
به العزة هو الإيمان بالله والعمل الصالح بقوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء
فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عليين إلا
إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم
والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع هو الله والمرفوع العمل
وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار
وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا
لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا يقبل الله قولا
وعملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن المقفع
قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ إليه يصعد الكلم الطيب
على البناء للمفعول وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو
الرجل أي يصعد إلى الله تعالى الكلم الطيب وإليه يصعد الكلام الطيب وقرئ
والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل فإن قلت مكر
فعل غير متعد لا يقال مكر فلانا عمله فبم نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر
أو لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات
أو أصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة
وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم إما إثباته
أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك

أو يخرجوك ومكر أولئك هو يبور يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة
يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب
بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك
على الله يسير أزواجا أصنافا أو ذكرانا وإناثا كقوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا
وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال أي إلا معلومة له فإن قلت ما معنى
قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا بما هو صائر
إليه فإن قلت الإنسان إما معمر أي طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما
أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالا
على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد
وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وما
تنعمت بلدا ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول
عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح إن حج فلان أو غزا
فعمره أربعون وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد
عمر وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو
الغاية وهو الستون وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله إن الصدقة و
الصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر
رضي الله عنه لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله إذا
جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال وما يعمر من معمر وقد
استفاض على الألسنة أطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما أشبهه وعن سعيد بن
جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب

ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص
من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز أن
يراد بكتاب الله علم الله أو صحيفة الإنسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل
ومن عمْره بالتخفيف وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال
على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل
أي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ
والمرجان وترى الفلك فيه في كلٍّ مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة
الماء ويقال للسحاب بنات مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة
قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له
ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء
لمعنى الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا
والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ
سيّغ بوزن سيّد وسيْغ بالتخفيف وملِح على فعِل والأجاج الذي يحرق بملوحته
ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر
الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك
فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها
لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك أخبار مترادفة أو الله وربكم
خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون

من قطمير ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان
وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة
الملتفة عليها إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم إن تدعوا الأوثان
لا يسمعوا دعاءكم لأنهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير لما استجابوا لكم لأنهم
لا يدّعون ما تدّعون لهم من الإلهية ويتبرءون منها وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
أي بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك
بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك
بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو
الحق لأني خبير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء يا أيها الناس أنتم الفقراء
إلى الله والله هو الغني الحميد فإن قلت لم عرّف الفقراء قلت
قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق
كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف
كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله وخلق الإنسان ضعيفا
وقال الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكّر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء فإن قلت
قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم
وليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادا منعما فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم
واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق
بإنعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنيهم إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم
بآياته ومعاصيهم كما قال وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من
يعبده لا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل
منه شيء ولو كان ذا قربى الوزر والوقر أخوان ووزر الشيء إذا حمله والوازرة صفة
للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيمة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب

نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا
تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات
لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا
وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين
وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم
الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على
عدل الله في حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ
لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف
بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ
فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم
من قوله وان تدع مثقلة فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل
كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة
قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرا ولو كان
ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة
لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى
وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على
ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته **انما تنذر الذين يخشون ربهم**
بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير بالغيب
حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل
بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه فكانت
عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما

مرفوعا

مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون
متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى
فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير
وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما
غضب عليهم في قوله ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال
انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله
بعلمه فيهم **وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما**
يستوي الاحياء ولا الاموات الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا
او للصنم ولله عز وعلا والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤدي
اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين
لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل
والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت
الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت
بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر **ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من**
في القبور ان انت الا نذير ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام
ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما
انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك
مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك
الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل
ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم
على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير بالحق حال من احد الضميرين
يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشير ونذير على بشيرا

بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة
من الناس ويقال لأهل كل عصر أمة وفي حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول دون
المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر إجماعهم والمراد ههنا أهل العصر فإن قلت كم من أمة
في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير قلت إذا كانت آثار
النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم فإن قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية
بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما
وقد اشتملت الآية على ذكرهما وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
وبالزبر وبالكتاب المنير بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر
وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التوراة والإنجيل والزبور لما كانت هذه الأشياء في جنسهم
أسند المجيء بها إليهم إسنادا مطلقا وإن كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها
في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت الذين
كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب و
الأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ألوانها
أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة
والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد. أو مذهب جدد على
ألواحه. ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان
تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن
الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال
السود فإن قلت الغربيب تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو
الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك
أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك قلت وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي

بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة. والمؤمن العائذات الطير. وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد
حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف
في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك
ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع
جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها
قول أبي ذؤيب. جون السراة له جدائد أربع. وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب
مخففا ونظيره هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لأن كل واحد منهما فر من التقاء
الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك أي كاختلاف الثمرات
والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه
وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان
علمه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما
أن يخشى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال العالم
من خشي الله وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت
فيه فإن قلت هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر قلت لا بد من
ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى أن الذين يخشون الله من بين عباده
هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ولا يخشون
أحدا إلا الله وهما معنيان مختلفان فإن قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت
لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار
صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك إنما يخشى
الله من عباده العلماء كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه
كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به فإن قلت فما وجه

قراءة من قرأ انما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة
الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلّهم ويعظّمهم كما يجلّ المهيب المخشيّ من الرجال
بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على
عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقِب المثيب حقّه ان
يُخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرًّا
وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور
شكور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله
هي آية القرّاء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي
هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطا هم المؤمنون يرجون خبر
انّ والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها
الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب
ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا
راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل
الله لهذا الغرض وخبر انّ قوله انه غفور شكور على معنى انه غفور لاعمالهم والشكر مجاز
عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله
بعباده لخبير بصير الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا
حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير
بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز
الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير
جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير
فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا
اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو نريد

نورثه لما علمه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين
وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب
الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجو لامر الله ومقتصد
وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدّم
ارسالة في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير
ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين
بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من
عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من
الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في
نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص
السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر
المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله
ولا يغترا بما رواه عمر رضه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما ان
يعذبهم واما ان يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على
الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سبّاق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه فان قلت
لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم
وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد
كانها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي
يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة
فهي حالٍ ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب

كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسوّرون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولؤلؤًا بتخفيف الهمزة الأولى **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** وقرئ الحُزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقيل الكرا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلعم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على أن القوم كثيرو الحسنات **الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ** المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقامًا ومقامة من فضله من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من التفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لَغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أي لا نتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت فإن قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ** فيموتوا جواب النفي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وإدخاله في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويجزى كل كفور بالنون **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها واستعمل

في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته فإن قلت هلا اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه يوهم أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** أولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذّكر فيه من اذّكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فإن قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير **إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** إنه عليم بذات الصدور كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا إنائك أجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى أن قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا** يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي

وهذا الكلام في المغرب هكذا ذو بطن بنت خارجة جارية وذكر في موضع آخر منه ...

وصغارا وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن
ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب
لمن بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وتأملت
فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة
كما أن ذلك حكم من قبلكم قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا
من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون
بعضهم بعضا إلا غرورا أروني بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني عن هؤلاء الشركاء
وعما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه
دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه
فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله أم أنزلنا
عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله بل إن يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الأتباع
إلا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات إن الله يمسك السموات
والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا أن تزولا
كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع إنه كان حليما غفورا غير معاجل
بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الأرض وقرئ ولو زالتا وإن أمسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد
مسد الجوابين ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد إمساكه
وعن ابن عباس أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول
قال سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ
هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم
نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل
ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تحويلا أولم يسيروا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات

والأرض إنه كان عليما قديرا بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله
لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبوه وفي إحدى الأمم وجهان أحدهما من بعض الأمم ومن واحدة من الأمم من اليهود
والنصارى وغيرهم والثاني من الأمة التي يقال فيها هي من إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها
في الهدى والاستقامة ما زادهم إسناد مجازي لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا
عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم استكبارا بدل من نفورا أو مفعول
له على معنى فما زادهم إلا أن نفروا استكبارا وعلوا في الأرض أو حال بمعنى مستكبرين وما
كرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز أن يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا
فإن قلت ما وجه قوله ومكر السيئ قلت أصله وأن مكروا السيئ ثم ومكرا
السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ومعنى يحيق يحيط
وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ أي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فإن الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ إلا
بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم وعن كعب أنه قال
لابن عباس قرأت في التوراة من حفر مغواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب
الله تعالى فقرأ الآية وفي أمثال العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ
حمزة ومكر السيئ بإسكان الهمزة وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله
اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود
ومكرا سيئا سنة الأولين إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم وجعل
استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة
لا يبدلها أي لا يغيرها وأن ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم
ومتاجرهم في رحلتهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم
ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة

ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من ساير الدواب بشوم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيمة كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملايكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شيت

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم قرئ ياسين بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن الرسل الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه تنزيل العزيز الرحيم وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من

نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذر آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت كيف يكونون منذرين غير منذرين لمنافاة هذا ما في الآخر قلت لا منافاة لان المراد في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤوسها عن الماء

ليبرد فيهما وهما الكانونان ومنه اقمحت السويق فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج فإن قلت فقد قرأ ابن عباس في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان قلت يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فأغشيناهم فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله تعالى عينيه وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم فإن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشعون ربهم إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء

أحصيناه في إمام مبين نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم أن نخرجهم من الشرك إلى الإيمان ونكتب ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس احبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين أو سكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية أنطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله عليه إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير

ورقى حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك
فقال قوما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل
متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال
له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني
وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك
فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك
فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذ بندقتين فوضعا في
حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع
مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر
ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال
ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال
اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت
ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال
شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن
معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر
يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه
اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك ذكر المفعول به
قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى
عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له
وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق
المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا
بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
وما علينا الا البلاغ المبين انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا نقض النفي

فلا يبقى لها المشتبهة بليس شبهة فلا يبقى لها عمل فان قلت لم قيل انا اليكم مرسلون
اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب
عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله
وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا
الا البلاغ المبين اي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي
والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت
منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته
طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا
وبشوم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن
مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا
ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل انتم قوم
مسرفون طائركم معكم وقرئ طيركم اي سبب شومكم معكم وهو كفرهم او اسباب
شومكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم اي تطيركم وقرئ أئن ذكرتم
بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن ذكرتم بالف بينهما بمعنى أتتطيرون ان ذكرتم
وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ
أن وان بغير استفهام بمعنى الاخبار اي تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ
اين ذكرتم على التخفيف اي شومكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم
كانوا بحلولهم فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشوم لا
من قبل رسل الله تعالى وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم
حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل
يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت
الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع

للكفر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره وقيل كان
في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا
أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من
دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما قتل
غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبرئيل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم
ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب ياسين ومؤمن آل
فرعون اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون
أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون
كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم
فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو
يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم
إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون
الذي فطركم ألا ترى إلى قوله وإليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه
أرجع وقد ساق ذلك المساق إلى أن قال إني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا
قولي وأطيعون فقد نبههم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح إلا لمن
منه مبتداكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته
عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هو وآلهته لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من
أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه إنكم في هذا الاستحباب
لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا
يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم إني آمنت بربكم فاسمعون أي
فاسمعوا إيماني تشهدوا لي به وقرئ إن يردني الرحمن بضر بمعنى إن يوردني ضرا
أي يجعلني موردا للضر قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي

وجعلني من المكرمين أي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو
فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه
البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها فإن قلت كيف مخرج هذا القول في
علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله
عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه
والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض
إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون
مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تمنى علم
قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في
الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا
وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف
على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف
في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته
والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا
على خطاء عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه
إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور
والأول أوجه وقرئ المكرمين فإن قلت ما في قوله بما غفر لي ربي أي
الماآت هي قلت المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب
ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ذنبي يريد به ما كان منه معهم من
المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلا أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان
إثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شيء صنعت وبم صنعت وما
أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين المعنى أن الله كفى أمرهم
بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب

فان قلت — وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت — معناه وما كان يصح في حكمتنا ان
ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم
على بعض الوجوه دون بعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا
ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به
الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت — فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق
فقال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلثة آلاف من
الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قلت — انما كان يكفي ملك
واحد فقد اهلكت مداين لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي
العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله
احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا
منزلين الا ان انزال الجنود من عظايم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا
نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ان كانت الا صيحة ان كانت
الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت
الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة
ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة ◦ وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرا
ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطاير يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل
من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد ◦ وما المرء الا كالشهاب
وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من
احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان
يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤ

من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وعلا على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه
على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرا يا حسرتا تعضد هذا
الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها
بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون الم يروا الم يعلموا وهو معلق
عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام
الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل
في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا
كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف
وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا
مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث
قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وان كل لما
جميع لدينا محضرون وقرئ لما على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي
متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما
فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما
والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون
فان قلت — كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت — ليس بواحد لان
كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم
والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا وآية لهم الارض الميتة احييناها
واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من
العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما
تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون
القراءة بالمخففة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استئناف بيان لكون

الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن يوصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما جنسان
مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد
أمر على اللئيم يسبني وقوله فيه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء
الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء
القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وفجرنا بالتثقيل والتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة
وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومما عملته ايديهم
من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وأبان اكله
يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما
قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن
يرجع الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به
من اكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة * فيها خطوط من
بياض وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق * فقيل له فقال اردت كأن ذاك وكأن أن
تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه
وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي
مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير الازواج الاصناف والاجناس
ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من
طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر
طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه
حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعكم
عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته وتسليط

ملكه نسلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة
الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول
أعتمنا وادجينا والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم لمستقر لها لحد لها
مؤقت مقدر ينتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره
او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها
ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى
عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت
عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة
وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر
وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق
الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب
بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم قرئ والقمر رفعا على الابتداء او عطفا على الليل برفعه ومن آياته القمر ونصبا
بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس
القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة
المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل
هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطين البطين الثريا
الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد
الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر
الرشاء فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف

وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم
دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول
فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول
واكثر **لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**
وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار
وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي
اي لا يتسهل لها ولا يصح لها ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد
من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله
في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران
ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع
بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير
مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر
يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها
عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض
من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار للدلالة على ما سبق ذكره **وآية لهم انا
حملنا ذريتهم في الفلك المشحون** ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية
يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء **وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون** من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك
المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم دونهم ولانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في
التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك
ما يركبون من السفن والزوارق **وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة
منا ومتاعا الى حين** فلا صريخ فلا مغيث او فلا اغاثة فقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا
ينجون من الموت بالغرق الا رحمة الا لرحمة منا وتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه

لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت
من الحمام الى الحمام وقرأ الحسن نغرقهم **واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم
ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين** اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم كقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم
من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع
التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على
رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله تعالى الا كانوا عنها معرضين كانه قال
واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة **واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في
ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** كانت الزنادقة منهم يسمعون
المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو
شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور
بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى
والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا
بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله
تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولم يشأ اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي مكة قريش
حين قال فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون
قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم
الا في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين **ما ينظرون
الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون**
قرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويخصمون
على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر ببا لهم
مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمو ن

يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجاهم الصيحة. **ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون** قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** قرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اى هذا وعد الرحمن او مبتدا محذوف الخبر اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانباكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين **ان كانت**

الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة **فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين **هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون** هم يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وفي قراءة ابن مسعود متكئين **لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم** يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى

قال الزجاج وهو من الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون كأنه قال
لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى أن الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة
أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس
والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام
بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون
سلام أي عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص نصب على الحال
أي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم أيها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين
وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون
وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير
وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز
من بعض ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين العهد
الوصية وعهد إليه إذا وصاه وعهد الله إليهم ما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من
دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم وقرئ إعهد
بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر إلا في الياء وأعهد بكسر الهاء
وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهي لغة تميم
ومنه قولهم دحا محا وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم هذا إشارة إلى ما عهد إليهم من
معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير
لئن كان يهدى برد أنيابها العلى لأفقر مني إنني لفقير أراد أنني لفقير بليغ الفقر
حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه في وإلا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم
تريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن
يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى
الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق

الذي هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول
الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار
توبيخا له على الإعراض عن نصائحه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه
جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون
وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهن لغات في معنى
الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد
الأجيال اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون يروى أنهم
يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين
فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا
أجيز على شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى
بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم
أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام
والشهادة ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون الطمس تعفية
شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال
الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا إليه أو
ينتصب على الظرف والمعنى على أنه لو نشاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع
الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيرا كما كانوا
يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن
يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لو نشاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين
في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو نشاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا
الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني أنهم لا يقدرون إلا على سلوك
الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا
وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا

على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة رضي الله عنه لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي **ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون** ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس افلا تعقلون بالتاء والياء **وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين** كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو من الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف فيه الا انه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين **لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين** لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيى بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان **اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون** مما عملت ايدينا اى مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطر والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا اى لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين **وذللناها لهم فمنها ركوبهم**

ومنها يأكلون وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهي ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون منافع من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً الآية والمشارب جمع مشرب وهي موضع الشرب او الشرب واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون اتخذوا الآلهة طمعاً في أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والأمر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فإنا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وإنا مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فإن قلت ما تقول فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل والثاني أن يكون بدلاً من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسراً أو فاتحاً على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالماً بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئاً ألا ترى إلى قوله فلا تكونن

ظهيراً للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلهاً آخر أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانته ودناءته لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمع وراءها وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فإن قلت لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلاً قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله على إحياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادراً عليه كان تعجيزاً لله وتشبيهاً لخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة

لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحيوة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون أن الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد بإحياء العظام في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس **قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون** وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم **أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله أن يخلق مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** إنما شأنه إذا أراد شيئا إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف أن يقول له كن أن يكونه من غير توقف فيكون فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فإن قلت ما حقيقة قوله أن يقول له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه

أمر الآمر المطاع فإن قلت ما وجه القراءتين في فيكون قلت أما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن فيكون وأما النصب فللعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدوره حتى يعجز عن الإعادة **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا أعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فإذا أنه لهذه الآية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة وإحدى وثمانون آية وقيل اثنان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا أقسم سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلوة من قوله تعالى وإنا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله **فالزاجرات زجرا**

فالتاليات ذكرا فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن قلت ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات قلت إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قيل الذي صبح فغنم فآب وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات فإن قلت فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده قلت إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فإن الموصوفات مختلفة وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق رب السموات خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق

منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين فإن قلت فما أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين قلت أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الضمير في لا يسمعون لكل شيطان مارد لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فإن قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا

لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملايكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القايل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القران عن مثل هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملاء الاعلى الملايكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملاء الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملايكة وعنه اشراف الملايكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او يقذفون دحورا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قبولا دحورا طرودا او على انه قد جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدايم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دايم غير منقطع الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقري خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف وقري فاتبعه وفاتبعه الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في تنبهها في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا يريد بذلك ما ذكر من خلايقه من الملايكة والسموات

والارض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرا ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه في معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ايذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملايم وقري لازم ولاتب والمعنى واحد واللاتب الشديد الاصابة بل عجبت ويسخرون بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلايق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقري بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهولاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن

مسخورة وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا
ذكروا ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا
سحر مبين وإذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون
يبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها أإذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على
الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث
أيضا آباؤنا الأولون على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ
أو آباؤنا قل نعم وأنتم داخرون قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم
أي الله أو الرسول والمعنى نعم تبعثون وأنتم داخرون صاغرون فإنما هي زجرة واحدة
فإذا هم ينظرون فإنما جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فإنما هي إلا زجرة واحدة وهي لا
ترجع إلى شيء إنما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة
الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الإبل أو الغنم إذا صاح عليها فريعت
لصوته ومنه زجر الشيء عزوة السباع إذا أشفق أن تختلط بالغنم يريد تصويته بها
فإذا هم أحياء بصراء ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي
كنتم به تكذبون يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم لبعض
وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل
من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نجازى بأعمالنا ويوم
الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة احشروا الذين ظلموا وأزواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم احشروا خطاب الله للملائكة أو
خطاب بعضهم مع بعض وأزواجهم وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ونظراءهم وأشباههم
من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناءهم من الشياطين
وقيل نساءهم اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها وقفوهم إنهم
مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون تهكم

بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
بل هم اليوم مستسلمون قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ
لا تتناصرون ولا تناصرون بالإدغام قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين اليمين لما كانت أشرف الجهتين
وأمنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور
ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح
وكان الأعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين وأراذلها
بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات
والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه باليمين والمسيء أن يؤتاه بشماله استعيرت
لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء
في بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه
من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة
وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم
يصل رحما ولم يؤد زكاة فإن قلت قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه
فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق
وهذا من ذاك ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع
البطش والمعنى إنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى
تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين بل لم تكونوا مؤمنين
بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا
عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول
ربنا إنا لذائقون فحق علينا فلزمنا قول ربنا إنا لذائقون يعني وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه
لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل
به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي

ولو حكى قولها لقال إنكم ومثله قول المحلف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن الهمزة
لحكاية لفظ الحالف والتاء لإقبال المحلف على المحلف فأغويناكم إنا كنا غاوين فأغويناكم
فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد إنا كنا
غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين
جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية إنا كذلك نفعل
بالمجرمين إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني أن سبب العقوبة هو الإجرام فمن ارتكبه
استوجبها إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد
نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق
المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه إنكم لذائقوا العذاب الأليم وقرئ لذائقو العذاب
بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الأصل لذائقون
العذاب وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ إلا عباد الله
المخلصين إلا عباد الله على الاستثناء المنقطع أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون
في جنات النعيم فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني
أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد
فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم
ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة
الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب
على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتشوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أن من أعظم
ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم على سرر متقابلين التقابل أتم للسرور
وآنس وقيل لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض يطاف عليهم بكأس من معين يقال للزجاجة فيها
الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال ... وكأس شربت على لذة ... وعن الأخفش كل
كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين أو من نهر معين

وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري
في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر بيضاء لذة للشاربين
بيضاء صفة للكأس لذة إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي
تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال
ولذ كطعم الصرخدي تركته ... بأرض العدى من خشية الحدثان لا
فيها غول ولا هم عنها ينزفون الغول من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده ومنه
الغول التي كانت في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم ونزف
على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف و
منزوف ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها
إذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف
الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال ... لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس
الندامى كنتم آل أبجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح
وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن
مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لا فيها
فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص وصداع أو خمار
أو عربدة ولغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرده
وأفرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف عين قاصرات الطرف قصرن أبصارهن
على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون
كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب
النساء وتسميهن بيضات الخدور فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فإن قلت
علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون
على الشراب كعادة الشرب قال ... وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام
على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جيء به

ما ضاع على عادة الله في اخباره قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين
يروى من المصدقين من التصديق ومن المصدقين بتشديد الصاد من التصدق وقيل
نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك
قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم
الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أئنا لمدينون لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون
مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال هل انتم مطلعون
فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك
القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل هو الله
عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم
من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب
ومطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا
فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا
او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه
غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد
بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون
اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه
او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا
في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال
لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي قال تالله ان كدت لتردين
ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين ولولا
نعمة ربي لكنت من المحضرين نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام

والبراءة من قرين السوء او انعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة من المحضرين
من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك أفما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون
الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا
معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم
ليعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه
الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت
يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد
به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك
قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله
عز وعلا تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة
أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق
المعلوم فقال أذلك الرزق خير نزلا اي خير حالا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل
والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق
المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على
التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق
المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل
ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن
الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير
نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق
المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيا
انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا
وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم

وثمرتها نابتة في أصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها طلعها
كأنه رؤوس الشياطين والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما
لفظية أو معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر
لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه
خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوره
المصورون جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدروا وأهوله كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه
خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا
ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر لها عرف
وقيل إن شجرا يقال له الأستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس
الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصدا إلى أحد التشبيهين
ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبه به فإنهم لآكلون منها فمالئون
منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم منها من الشجرة
أي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد ويقسرون على أكلها وإن
كرهوها ليكون بابا من العذاب فإذا أشبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق
أو صديد شوبه أي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة
شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول
تسمية بالمصدر فإن قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم إن لهم عليها
لشوبا وفي قوله ثم إن مرجعهم قلت في الأول وجهان أحدهما أنهم يملؤون البطون
من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشون فلا يسقون إلا بعد ملي تعذيبا
بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني أنه ذكر
الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء بثم للدلالة
على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني أنهم
يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم

فيأكلون إلى أن يتملؤوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم ومعنى التراخي
في ذلك بين وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم إنهم
ألفوا آباءهم ضالين علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين
واتباعهم إياهم على الضلال وترك اتباع الدليل فهم على آثارهم يهرعون والإهراع
الإسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل إسراع فيه شبه بالرعدة ولقد ضل
قبلهم أكثر الأولين ولقد ضل قبلهم أي قبل قومك قريش ولقد أرسلنا فيهم منذرين
منذرين أنبياء حذروهم العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين المنذرين
الذين أنذروا وحذروا أي أهلكوا جميعا إلا عباد الله المخلصين إلا عباد الله
الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولقد نادانا
نوح فلنعم المجيبون لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين
أتبع ذلك ذكر نوح ودعائه إياه حين أيس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم
محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل
العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة وأوصلها إلى مراده وبغيته
من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم
وجعلنا ذريته هم الباقين هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم
فقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وأزواجهم أو هم الذين بقوا متناسلين
إلى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد
سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق
إلى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين سلام على
نوح في العالمين وتركنا عليه في الآخرين من الأمم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني
يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها
سلام على أنه مفعول تركنا فإن قلت فما معنى قوله في العالمين قلت معناه
الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم

على نوح واذا اهد في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم {إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين} علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه {وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم} من شيعته اى ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا {إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون} أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وانما قدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين {فما ظنكم برب العالمين} فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهمه ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اى شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره {فنظر نظرة في النجوم} في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب

انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه {فقال إني سقيم فتولوا عنه مدبرين} كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى اعيادهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابرهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد انه سقيم النفس لكفرهم {فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون} فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها {فراغ عليهم ضربا باليمين} فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم {فأقبلوا إليه يزفون} اى يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا

انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالمنافي حيث ذكرها هنا
انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه
ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو
الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الاخر انهم استدلوا بذمه على انه
الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم
دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا
الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه وراوها مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا
من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض
بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك
احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فاتوا
به على اعين الناس قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون
يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
اي فطر الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع
خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ
السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام
جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملو اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم
بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت فما انكرت ان تكون
ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة قلت اقرب ما
يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الاية يأباه اباء جليا
وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا
خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود
وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم
لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء اخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله

ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب
لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فان قلت اجعلها موصولة
حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك
لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج
على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما
تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما
تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية قالوا
ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين الجحيم النار
الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى
غلبه عليهم في المقامين واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه
ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا
عليه وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره
بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه
صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين
كان الله وعده وقال له سأهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة
الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء
والطمع لقال كما قال موسى صلوات الله عليه عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رب هب لي
من الصالحين رب هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في
الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال
عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس
رضي الله عنهما حين هنأه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب فبشرناه بغلام حليم
وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون

حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم
وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم
لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا **فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني**
ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله
من الصابرين فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوايجه فان قلت معه بم يتعلق
قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضايه
بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه
لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه والمعنى
في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء
فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة
والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان به من رصانة الحلم و
فسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم
اني ارى في المنام قيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال
اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب
في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قايلا
يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله
هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه
من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم
النحر وقيل ان الملايكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ
حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وترى
ماذا ترى اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك
من الراي افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل

ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرى ما تؤمر به
فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه
ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع
ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها
ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان
المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور ادم الملايكة
في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة
قلت كما ارى يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي
الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى
ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لان
الحال اما حال يقظة او حال نوم فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى
للدلالة من انفراد احديهما **فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت**
الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد
وقد قرى بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له
ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة
معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه
لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه
فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا
الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن
الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم
فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين
وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط
به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من

البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب
والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ان هذا
لهو البلاء المبين البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح عظيم وتركنا
عليه في الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين الذبح اسم
ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة
حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس
لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين
وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام استفرهوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم
وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع
حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض
له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال
الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي
في قصة الذبيح انه حين اراد ان يذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا
الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي
لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي
فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون
فان الموت شديد واقرأ على امي السلام وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل
فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل
عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله تعالى
ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني
وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين

ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل
والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود
منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح
ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه
فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل
والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن
الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن
سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا
افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب
القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل
فقال موسى يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل
واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى
لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما
اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به
قط ويدل عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن
كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت
انظر فيه وانه لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال
ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب ويدل عليه ان قرني
الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن
الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك
عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه
والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد

في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله
بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان
الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس
وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن
خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم
ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف
من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فان قلت
قد اوحي الى ابرهيم صلوات الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت
الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل
ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع
ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى
مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا
من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى
بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت الله تعالى هو المفتدي منه لانه
الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو ابرهيم عليه السلام
والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب
الذي هو الممكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح
وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل
قلت قد علم بمنع الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار
الدم فوهب الله الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة
في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي فائدة في تحصيل
تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت
الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به

من كل وجه فان قلت لم قيل ههنا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة انا
كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا
وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود
معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت
وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم
الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت
عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود
الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى
مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت
وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق
المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود
اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك
يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها
على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة
بشره الله بنبوة اسحق بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق
لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته
معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق
ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا
اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني
اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظير قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين
وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر

الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد
عليهما بعيب ولا نقيصة فإن المرء إنما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت
يداه لا على ما وجد من أصله أو فرعه ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم من الكرب العظيم أي من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم
ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما
وآتيناهما الكتاب المستبين الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال
إنا أنزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوّز أن تكون التورية عربية أن تشتق
من ورى الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو وهديناهما الصراط المستقيم
الصراط المستقيم صراط أهل الإسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين
إنهما من عبادنا المؤمنين وإن إلياس لمن المرسلين قرئ إلياس بكسر الهمزة و
الياس على لفظ الوصل وقيل هو إدريس النبي وقرأ ابن مسعود وإن إدريس في
موضع إلياس وقرئ إدراس وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هارون أخي
موسى إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين أتدعون
بعلا أي أتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب
وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة
سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة
والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت
مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أي من ربها
والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب آبائكم الأولين
فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع
على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع وتركنا
عليه في الآخرين سلام على آل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين

وقرئ على إلياسين وإدريسين على أنها لغات في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون
في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به إلياس وقومه كقولهم الخبيبون
والمهلبون فإن قلت لو كان جمعا فهلا حملت على هذا إلياسين على القطع وأخواته
قلت لو كان جمعا لعرّف بالألف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فلعل أن ياسين
اسم أبي إلياس أضيف إليه الآل وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا
عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون
مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلا ونهارا أفما
فيكم عقول تعتبرون بها وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم
فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي
هربه من قومه بغير إذن ربه إباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم
القوم إذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة
روي أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم
البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس
فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب
لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء
مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي فلولا أنه كان من المسبحين
للبث في بطنه إلى يوم يبعثون من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس
وقيل هو قوله في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين
وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال
وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب
من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته وجمع همه لتقييد
نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث
في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة

وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك
طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن
عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد
الوقت الذي التقم فيه وروي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه
يونس ويسبح الله ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء
فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل فنبذناه بالعراء وهو سقيم
العراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي
أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وأنبتنا عليه شجرة من يقطين واليقطين كل
كل ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو
يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع
عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب القرع فقال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل
هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان
يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وروي أنه مر زمان على
الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحي إليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر
فإن قلت ما معنى أنبتنا عليه شجرة قلت أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت
على الإنسان وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين
وأرسلناه إلى مائة ألف المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو
إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين أو إلى غيرهم وقيل أسلموا فسألوا أن يرجع إليهم
فأبى لأن النبي إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيما فيهم فقال لهم إن الله باعث إليكم
نبيا أو يزيدون في مرأى الناظر إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر
والغرض الوصف بالكثرة إلى حين إلى أجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين
فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون
ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم

كيف تحكمون أفلا تذكرون فاستفتهم معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت
بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولا ثم ساق الكلام
موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها
حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة
لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها
التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام والثاني تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا
أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال تعالى وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث
أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم
فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه
وذلك في أهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه وتعالى الأنواع كلها في كتابه مرات
ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات
يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والأرض أنى يكون
له ولد ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله
البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون
أصطفى البنات على البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن إناثا أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون فإن قلت
لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل
وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم
وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا بأخبار
صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل
قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد
الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والذكر والمؤنث

تقول عن ولدى وسيم ولدى فان قلت اصطفى البنات على البنين استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابى جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محلها فهى ضعيفة والذى اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ام لكم سلطان اى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذى انزل عليكم فى ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين فى انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التى اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوى بينى وبين عبدى واذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه والضمير فى انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون

ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة انهم فى ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن فى طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير فى انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو فى يصفون اى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم الضمير فى عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اى فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اى على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو صال مثلكم او يكون فى اسلوب قوله فانك والكتاب الى على كدابغة وقد حلم وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه

كما تبدل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني أن يكون
صايل على القلب ثم يقال صال في صايل كقولهم شاك في شايك والثالث أن يحذف
لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها
بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنا الجنتين دان وله الجوار
المنشآت باجراء الاعراب على العين **وما منا إلا له مقام معلوم** وما منا أحد إلا له
مقام معلوم فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع
الثنايا بكفى كان من أرمى البشر مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء إلى أمر الله
مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه
وإنا لنحن الصافون نصف أقدامنا في الصلوة أو أجنحتنا في الهواء منتظرين أمره
وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل إن المسلمين إنما اصطفوا
في الصلوة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلوتهم غير
المسلمين **وإنا لنحن المسبحون** المسبحون المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون
هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله
ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون
عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله
المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا
على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب
العزة ومجمعنا وإياه جنسية واحدة وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا
مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن أن يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا
لجلاله ونحن الصافون أقدامنا لعبادته أو أجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين
ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك

ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله و
ينزهونه عما يضيف إليه من لم يعرفه مما لا يجوز عليه **وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا**
ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون هم مشركوا
قريش كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا أي كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التورية
والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم
الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من الكتب فكفروا به ونحوه
فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام
وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين
للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**
إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون الكلمة قوله إنهم لهم المنصورون
وإن جندنا لهم الغالبون وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدة لأنها لما انتظمت في معنى
واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الوعد بعلوهم على عدوهم
في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال تعالى والذين
اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل
بأن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب
نبي في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر
والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب
وعن ابن عباس إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا
على تضمين سبقت معنى حقت **فتول عنهم حتى حين** فتول عنهم فأعرض عنهم واغض
على أذاهم حتى حين إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي إلى يوم بدر
وقيل إلى الموت وقيل إلى يوم القيمة **وأبصرهم فسوف يبصرون** وأبصرهم وما يقضى
عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون ذلك وما قضي لك من النصرة و

والثواب في الآخرة العاقبة والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين فإذا نزل العذاب بفنائهم وأصله وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغازيهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضي الله عنه لما أتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه السلام الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وإنما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أضيف الرب إلى العزة لاختصاصها به كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه ما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه

في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيهه وتنزهه عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لرب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشيطان وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة صاد وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية

١٣

بسم الله الرحمن الرحيم صاد على الوقف وهي القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم الله لأفعلن بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لأفعل بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه فإن قلت قوله صاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز والثاني أن يكون صاد خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم السورة كأنه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله ولذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بصاد والقرآن ذي

الذكر أنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف
بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر
جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة
والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة
المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وإنه
لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص
الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ
في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق **كم أهلكنا** وعيد لذوي العزة
والشقاق **من قبلهم من قرن فنادوا** فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة **ولات
حين مناص** هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد
وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم وإما
الخبر وامتنع بروزهما جميعاً وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية
للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب بها كأنك قلت ولا حين
مناص لهم وعنهما أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء
أي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس
الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلاً لهم وقرئ حين مناص بالكسر
ومثله قول أبي زبيد الطائي • طلبوا صلحنا ولات أوان • فأجبنا أن لات حين بقاء •
فإن قلت ما وجه الكسر في أوان قلت شبه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح في أنه
زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح فإن قلت فما تقول
في حين مناص والمضاف إليه قائم قلت نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله
حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضاً من الضمير
المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافاً إلى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير
فإن قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما تقف على الفعل الذي

يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما
قول أبي عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام
فلا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا
والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر
غمر الجراء إذا قصرت عنانه • بيدي استناص ورام جري المسحل • **وعجبوا أن جاءهم
منذر منهم** رسول من أنفسهم **وقال الكافرون هذا ساحر كذاب** لم يقل وقالوا إظهاراً للغضب
عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في
الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقاً وهل ترى كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من
صدقه الله بوحيه كاذباً ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك
وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي أن إسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحاً شديداً
وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب
وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام
وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن
أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا تسألونني قالوا
ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي
أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً أي نعطيكها وعشر كلمات معها
فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** أي بليغ
في العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله مكراً كباراً وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرّام
وكرام وقوله أجعل الآلهة إلهاً واحداً مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً في
أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحداً
في قوله لأن ذلك في الفعل محال **وانطلق الملأ منهم** الملأ أشراف قريش يريد وانطلقوا عن
مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض **أن
امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد** أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله

كونه فلا مرد له ولا ينبغي فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوايب الدهر يراد بنا فلا انفكاك
لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان مخففة اي لان المنطلقين
عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول
ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت
المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا منكم
وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون
ان اصبروا **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة** في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم
مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة
على ان تجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع من اهل
الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله **ان هذا الا اختلاق** اي
افتعال وكذب **ءانزل عليه الذكر من بيننا** انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم
وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار
ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم **بل هم في شك
من ذكري** من القرآن يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم
فيه يقولونه على سبيل الحسد **بل لما يذوقوا عذاب** بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال
عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى
تصديقه **ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** بل اعندهم خزائن الرحمة حتى يصيبوا
بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام
وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها
مواقعها الذي يقسمها على ما يقتضيه حكمته وعدله كما قال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح
هذا المعنى فقال **ام لهم ملك السماوات والارض وما بينهما** حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير
الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق

والتدبير في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء
النبوة وبين من لا يحق له **فليرتقوا في الاسباب** فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل
بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون
ويستصوبون ثم خسأهم عن ذلك بقوله **جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب** يريد
ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون
ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث
ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب
لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك **كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد** اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت
لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك واستقامة
الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل
طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده
بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب
بها بين يديه **وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب** قصد به الاشارة الى
ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب **ان كل الا
كذب الرسل** ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة
الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا
واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره
بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد
والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال
فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم **وما ينظر هؤلاء** اهل مكة ويجوز ان
يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله **الا صيحة واحدة**
هي النفخة **ما لها من فواق** وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي

الطالب وفصيلة الراضع يعني اذا جاء وقتهم لم تستأخر هذه الصيحة ولم تتوقف قدر فواق ناقة وفي معناه قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعن ابن عباس رضي الله عنه ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها فان قلت كيف تطابق قوله تعالى اصبر على ما يقولون وقوله تعالى واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه قلت كانه تعالى وتقدس قال لرسوله صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود عليه السلام وهو انه نبي من انبياء الله تعالى قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وآد واياد كل شيء ما يتقوى به انه اواب تواب رجاع الى مرضاة الله فان قلت ما دلك على ان الايد القوة في الدين قلت قوله تعالى انه اواب لانه تعليل للايد انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلوة

الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتاب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير كيما نغير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا والطير محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال الله تعالى سنشد عضدك باخيك وقرئ وشددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل

فقال إن الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب
أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه وآتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق
الحق فهو حكمة وفصل الخطاب الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول
كضرب الأمير لأنهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل أي
مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به
لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في
كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم
ثم يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار
وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب
الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات
وتدابير الملك والمشورات وعن علي رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه
وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر
الذي له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله
بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل ومنه ما
جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل أتيك نبؤا الخصم إذ تسوروا
المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل
له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا
أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل
يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان
فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل
رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت
وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها وكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع

كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فقال يا رب إن آبائي
قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه إنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي إبراهيم بنار نمروذ وذبح ولده
وإسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه إنك لمبتلى
في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان
في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت
في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من
غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه
على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح
الله على يديه وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن على الشهداء وتزوج
امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض
أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الأعور أن علي بن أبي طالب رضه قال من حدثكم
بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروي
أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال
إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت
على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب
إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه
إلى الزوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب فإن قلت لم جاءت على طريق التمثيل والتعريض
دون التصريح قلت لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض
به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى
التنبه على الخطأ فيه من أن يبادهه به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى إلى
الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه
ولا يصرح وأن يحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه
وذلك أجزل لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة

مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فإن قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم إليه قلت ليحكم ما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل أتيك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق إلى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله يقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فإن قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فإن قلت فما تصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض فإن قلت فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان قلت معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون فإن قلت فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به فإن قلت بم انتصب إذ قلت لا يخلو إما أن ينتصب بأتيك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتيك لأن إتيان النبأ رسول الله لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي أن ينتصب بمحذوف وتقديره هل أتيك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما إذ الثانية فبدل من الأولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الأبنية تسنمه إذا علا سنامه وتذراه علا ذروته وروي أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهما قال ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم

ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا تشطط أي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه إن هذا أخي أخي بدل من هذا أو خبر لأن والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وإن كثيرا من الخلطاء وكل واحد من هذه الأخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة فقال أكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وعزني في الخطاب وغلبني فيه يقال عزه يعزه قال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست فإن قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على أنه أمر يستحي من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه وإن كثيرا من الخلطاء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة فإن قلت إنما يستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قول عنترة يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسسي أخبارها لي واعلمي وشبهها بالنعجة حيث قال كنعاج الملا تعسفن رملا ولولا أن الخلطاء يا باه لم أن يعرض داود

الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فان قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا
عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير للمسئلة وفرض
لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة
وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد ولعمرو سبد
ولا لبد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة
ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء
الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها
الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقولهم فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي رويدا
تكاد تغرب **قال لقد ظلمك** جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه
بسؤال نعجتك الى نعاجه السؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله دعاء الخير وقد ضمن معنى
الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب فان قلت
كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد
اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل
نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة
فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم
ير احدا فعرف ما وقع فيه **وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات** الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في
الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة
او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد
والفحول مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا
ثلثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد منهم اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابي
حنيفة رحمه الله لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء
عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه فان قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت

عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله
وعند ابي حنيفة رحمه الله لا شيء عليه فان قلت ماذا اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام
قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم
بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي
المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون
الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء
اكتفاء منها بالكسرة وما في **وقليل ما هم** للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها
وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط **وظن
داود** لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن **انما فتناه**
انما ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وفتناه
قال لئن فتنتني لهي بالامس فتنت وفتناه على ان الالف ضمير الملكين **فاستغفر ربه وخر
راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** عبر بالراكع عن الساجد لانه
ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام
السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي
الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة
واناب ورجع الى الله بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه
الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب
ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك
حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر
له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس
وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان
كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرا ماله الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما
عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر

فطلق قبل ان يسأل التنبيه يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اى استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة على ما كان عليه لم يتغير فاحكم بين الناس بالحق اى بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع الهوى اى هوى النفس في الحكومات وغيرها مما يتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن الدلائل التي نصبها على الحق وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يوم الحساب متعلق بنسوا اى بما نسوا يوم الحساب او بقوله لهم اى لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجرى القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوى باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اى وما خلقنا ما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك اشارة الى خلقها باطلا ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار الظن بمعنى المظنون اى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السماوات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار

ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا الى الله بالتوبة او مسبحا مؤوبا بالتسبيح مرجعا لان كل مؤوب اواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب الصافن الذى في قوله ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فهو الذى يجمع بين يديه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اى واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروى ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشى وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها

متقربا بالله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها
وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت
مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا
او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من
قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله انه لحب الخير لشديد
والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف
لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا رضي الله عنه عن
قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير
والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخباة بحجابها والذي دل على ان
الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي
حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة
تغرب الشمس من ورائه ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فجعل يمسح مسحا
اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها يقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر
الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع
ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها
بيده استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف
تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع
مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن
وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس
واما من قرا بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير
ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا
سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة

وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقال الشياطين ان عاش
لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان
القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطيئته في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس
يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق
رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله
ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان و
عبادة الوثن في بيت سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان عليه السلام بلغه خبر صيدون و
هي مدينة في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه
تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة
من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها حزنا
على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح
مع ولائدها يسجدون له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة
وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكا
نت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه
فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر
ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على
كرسي سليمان عليه السلام وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى
امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف فاذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك
فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف
وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا في دمها
ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر

فابتلعتها سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا
ورجع اليه الملك وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص
وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك
لمفتون بذنبك فالخاتم لا يتماسك في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا
من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده
حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز
ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن
بنبي الله ان ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى
انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت
الوهاب تقديم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم
امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني فان طلب اما
يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره وقيل كان
سليمان عليه السلام ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب
على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على
نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من
بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري
فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك
العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان
يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون
سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم
الملك وسعته كما يقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك
تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد

من بعدي وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه
شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم فسخرنا له
الريح تري الريح والرياح تجري بامره رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه
حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب
وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين
تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على الريح
كل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل
الكل من الكل مقرنين في الاصفاد كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون فيستخرجون
اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع
بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى
اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه
قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا مطلقها
وارق رقبة معتقها وقال حبيب بن اوس الطائي ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن
وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه
كوعده واوعده هذا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي
العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود
هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت
من الشياطين بالاطلاق او امسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك
في ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال
منه اذ نادى ربه اني مسني الشيطان باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك
لقال بانه مسه لانه غائب بنصب وعذاب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد
وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب

والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع
الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال فإن قلت لم نسبه
إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على
ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فقط
قلت لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب
والعذاب نسبه إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله
ولا يقدر عليه إلا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء و
يغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه
ورده بالصبر الجميل وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى
إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه
على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل أعجب
بكثرة ماله **اركض برجلك** حكاية ما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الأرض وعن قتادة
هي أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل **هذا مغتسل بارد وشراب** أي هذا ما تغتسل
به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وتنقلب باطن قلبتك وقيل نبعت له عينان فاغتسل
من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى
فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها **ووهبنا له أهله**
ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى أن الهبة
كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على
البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم **وخذ** معطوف على اركض **بيدك ضغثا فاضرب**
به ولا تحنث الضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس قبضة
من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها
لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتي بمخدج قد خبث
بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة

إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه أنها
أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق
أيوب إذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمت
بذلك فأدركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر
برأ فتعرضت له بذلك وقيل سألته أن يقرب للشيطان بعناق **إنا وجدناه صابرا** علمناه
صابرا **نعم العبد إنه أواب** فإن قلت كيف وجده صابرا وقد شكا إليه ما به واسترحمه
قلت الشكوى إلى الله عز وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني
إلى الله وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية
وطلبها فإذا صح أن يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجإ إلى الله تعالى
والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الأطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء
خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبيا
لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان
ويروى أنه قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني
ما ملكت يميني ولم آكل إلا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله عنه
واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب إبراهيم وإسحاق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ
عبدنا وهي إسحاق ويعقوب كقراءة ابن عباس وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق لما كانت أكثر
الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة
بالأيدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله **أولي الأيدي والأبصار** يريد أولي الأعمال
والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات
ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار
بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة
والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ أولي الأيادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولي الأيد
على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير متمكن **إنا أخلصناهم** جعلناهم

لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بقوله ذكرى الدار شهادة لذكرى الدار
بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم
لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكرهم الآخرة دائما
ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن
الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فان
قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها
او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم
وانهم عندنا لمن المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم الاخيار جمع خير او خيّر
على التخفيف كاموات في جمع ميْت او ميّت واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار
كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ واللّيسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من
اللسع والتنوين في كل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر
وهو القرآن وان للمتقين لحسن مآب لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل
ونوع من الغاية واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال
وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ
من فصل كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل
الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر
جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة
لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب مفتحة لهم الابواب
مفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل
من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ
جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف
اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات
الطرف اتراب كان اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن

على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن
كاسنانهم هذا ما توعدون وقرئ يوعدون بالياء والتاء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب
كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت ان هذا لرزقنا ما له
من نفاد هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد
كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا
فليذوقوه حميم وغساق اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال
هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة واياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه
والغساق بالتخفيف والتشديد يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها
وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل
المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا
يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات اخر من شكله من مثل هذا المذوق
اي شكله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ واخر اي وعذاب اخر او مذوق آخر
وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله
وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم
معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة
الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين
اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا
اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء
وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت
امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا
بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا
بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار

والضعيف للعذاب او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال
الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم
وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم
فجمع بين المجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه
فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون
اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا
رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم
لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم
للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا
هذا فزده عذابا ضعفا في النار اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب
وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا الضمير للطاغين ما لنا لا نرى رجالا يعنون فقراء
المسلمين الذين لا يؤبه لهم كنا نعدهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا
على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل
قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار بهم
وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار
كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة
وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان
يكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم وان ابصارنا
كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم
سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الانشاء
كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرا
بغير همزة لان ام تدل عليها فلا يفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا

لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا
بالضم والكسر ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم
اهل النار وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس فان قلت
لم سمي ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين
من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول
كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب
الله للمشركين وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار
واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقدوا ان لا اله الا الله الواحد القهار بلا ند ولا شريك
القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة
وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه او قل لهم ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة
من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه قل هو نبا عظيم
انتم عنه معرضون اي هذا الذي انباتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبا عظيم
لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ثم احتج لصحة
نبوته بان ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك
الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك
لم يحصل له الا بالوحي من الله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى
الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا
وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر وقيل النبا العظيم
قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة فان قلت
بم يتعلق اذ يختصمون قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم
واذ قال ربك للملائكة بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملا الاعلى قلت اصحاب القصة
الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فان قلت ما كان التقاول بينهم

انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملا الاعلى هم الملائكة وكان التقاول بينهم فلم يكن التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الاعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق فان قلت كيف صح ان يقول لهم انى خالق بشرا من طين وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون قد قال لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فاذا سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه الا ابليس فان قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما استثنى الواحد منهم استثناء متصلا استكبر وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي فان قلت ما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه

ان الله حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا واتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد استكبرت ام كنت من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا فانك رجيم الرجيم المرجوم ومعناه مطرود كما قيل له مدحور وملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجيم الرمي بالحجارة او لانه

الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذي يقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر قال فبعزتك اقسام بعزة الله وهي سلطانه وقهره لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في اني عليك الله ان تبايعا وجواب لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقولك لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول اي اقوله كقوله تدعى على ذنبا كله لم اصنع ومجرور على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم من ذرية آدم فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو ان يوكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم قل ما اسألكم عليه من اجر الضمير للقرآن او للوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه اي ما ياتيكم بعد حين عند الموت

او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة صاد كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون وقيل ثنتان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قرئ تنزيل بالرفع على انه خبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون يحتمل الذين اتخذوا المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم واما ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة

لئلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي
ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعبُدهم بضم النون اتباعا للعين
كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم
بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون
الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم
مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون
اذا قالوا لهم من خلق السماوات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم
يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار المراد بنفي الهداية منع
اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم
قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان
يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا
ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم
به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض
كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم
حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين
متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار فنزه
ذاته ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه فهو انه واحد لا يجوز
ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت ان يكون له
صاحبة لم يتأت ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل
شيء ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء ثم دل على ذلك بخلق السماوات والارض وتكوير
كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم
من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك وقهار لا يغالب بقوله خلق السماوات والارض

بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو
العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم
في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه
وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا فاذا غشي مكانه
فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوي
الثنايا باحقيها حواشيه * لي الملاء بابواب التفاريج * ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا
طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر
على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز القادر
الغالب على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم
بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة فان قلت ما وجه قوله
ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها
دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه
الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حواء من
قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة
على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة
لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها
الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم وقضى لكم وقسم
لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا
تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة
ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه
آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد خلق
حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف
والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله

هو الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره إن تكفروا فإن الله
غني عنكم عن إيمانكم وأنتم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان ولا يرضى لعباده الكفر
رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة وإن تشكروا يرضه لكم أي يرضى الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذن
ما كره كفركم ولا رضي شكركم إلا لكم ولصلاحكم لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة
ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام
الذي أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد
المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل
وبغير وصل وبسكونها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه
عليم بذات الصدور وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله أعطاه قال أبو النجم
أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال
من قولهم هو خائل مال إذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
إن الغني طويل الذيل مياس نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل أي نسي الضر الذي كان يدعو الله
إلى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والأنثى
وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها يعني أن نتيجة جعله لله أندادا
ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض قل تمتع بكفرك
قليلا إنك من أصحاب النار قوله تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول
ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته
وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل
ثم مأواهم جهنم أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب قرئ أمن هو بالتخفيف على إدخال همزة
الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت
كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الآية وقيل معناه

أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت
القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها
ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما ساجدا وقائما حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو
للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه
جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون
بها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل
التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل
نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي
ويرجو فقال هذا تمن وإنما الرجاء قوله فتلا هذه الآية وقرئ إنما يذكر أولو الألباب بالإدغام
قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا
لا بحسنة معناه للذين أحسنوا في الدنيا حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة
بالوصف وقد علقه السدي بحسنة وفسر الحسنة بالصحة والعافية فإن قلت إذا علق
الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه قلت هو
صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفا
ومعنى وأرض الله واسعة أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم
بلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة
وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخرى واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم
إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين
فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي أرض الجنة إنما
يوفى الصابرون الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال
البلايا في طاعة الله وازدياد الخير أجرهم بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وبغير ميزان
يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم

بالموازين ويوفى باهل الحج يوفون اجورهم بالموازين ويوفى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا
ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني امرت باخلاص
الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اى مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى ان
الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت
وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به
ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة
شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون
الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا
من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من المسلمين
وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون اول من اسلم
في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم
الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي
جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال
السابقين دلالة على السبب بالمسبب قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني ان الله
امرني ان اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي فان عصيت ربي
بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه
فان قلت ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد
مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه مأمور من جهة الله باحداث العبادة
والاخلاص والثاني اخبار بانه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك
قدم المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن
يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير

المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران
الجامعين لوجوهه واسبابه الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها و خسروا
اهليهم يوم القيامة لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين
لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية
الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط
الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل اطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يخوف الله به عباده ليتوعدهم به
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة
بالغة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت
والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشياطين او الشيطان لكونها مصدرا
وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان
الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على
غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال
وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين
هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله عليهم السلام وتتلقاهم
الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشريكم اليوم جنات تجري الآية واراد بعباده الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة
على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن
والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب
حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك

واقواها عند السبر وابينها دليلا وامارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير
قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر
الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم
فيستمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على قوله
فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره اولئك **أفمن حق عليه كلمة العذاب**
أفأنت تنقذ من في النار اصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية دخل
عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب
تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد
معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر
وهو ان تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فانت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وانما
جاز حذف فانت تخلصه لان أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة
دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم
من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر
على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار لا تقدر ان تخلصه مما فيه من استحقاق
العذاب بتحصيل الايمان فيه **لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها**
الانهار علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت معناه والله اعلم
انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت
المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل **وعد الله** مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم
الله ذلك **لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء** هو المطر وقيل كل ماء في الارض
فهو من السماء ينزل منه الى الصخرة ثم يقسمه الله **فسلكه** فادخله ونظمه **ينابيع في الارض** عيونا
ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد **ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه** هيئاته من خضرة وحمرة
وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها **ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله**

حطاما يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب حطاما
فتاتا ودرينا **إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب** لتذكيرا وتنبيها لهم على انه لابد من صانع حكيم وان ذلك
كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا **أفمن شرح الله صدره**
للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين أفمن عرف
الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله فهو حرج الصدر
قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف
انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير
قوله أمن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر عندهم او آياته اشمأزوا واز
دادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله فان قلت ما الفرق بين من وعن في هذا
قلت اذا قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت
عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه
عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش **الله نزل احسن الحديث** عن ابن مسعود ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ
وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله
وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث
وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه **ومتشابها** مطلق في مشابهة بعضه بعضا
فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب
الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون
مثاني بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا يكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد
ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل
لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان

يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى
كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما صح
ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع واخماس
وسور وآيات وكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عروق وعظام
واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك
برمة اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما
تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت ما فائدة التثنية والتكرير
قلت النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم
يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلث
مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف
القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زايد يقال اقشعر
جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا
لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية
تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها
ما كان بها من الخشية والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديته بالى قلت ضمن معنى فعل متعد
بالى كانه قيل سكنت واطمانت الى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم اقتصر
على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان اصل امره الرحمة والرافة ورحمته هي سابقة غضبه
فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤوفا رحيما فان قلت لم ذكرت
الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه
قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على
الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى
الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية

ويرجو ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من
هاد او ذلك الكاين من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل
بالهدى يهدي به هذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اوليك ورآهم خاشعين راجين فكان
ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه لقسوة
قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان
اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في
النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره
وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين وتقول لهم خزنة النار
ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي
لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مامنهم فاذاقهم
الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون الخزي الذل والصغار كالمسخ
والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب
على المدح غير ذي عوج مستقيما بريا من التناقض والاختلاف لعلهم يتقون فان قلت فهلا قيل
مستقيما او غير معوج قلت فيه فايدتان احديهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له
عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد
وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد
اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في
مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت
افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له

مستقل لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن
حالا واحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضيته من ان يدعي كل واحد
منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا
لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع
وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل
عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس
الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء
والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص
له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل
وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان
مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين
ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجلين والمعنى هل يستويان فيما يرجع
الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان
يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره
انك ميت وانهم ميتون كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى
للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون
والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة حادثة
تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول
حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك ميت وانهم ميتون انك واياهم
وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان ثم انكم ثم انك واياهم
فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك قد بلغت
فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بالاباطيل تقول الاتباع اطعنا سادتنا

وكبراءنا ونقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع
وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم
بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من دهرنا
ونحن نرى ان هذه الآية انزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا
واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت
فينا وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد
فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن
ابراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه
خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت
اولا الا ترى الى قوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به
وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة فمن اظلم ممن كذب على الله افترى عليه باضافة
الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم اذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل
كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على
الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه
وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا
في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به
وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا
بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه
اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق
من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا
بالمعجزة وقرئ وصدق به لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي

عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون فان قلت ما معنى اضافة الاسوء والاحسن
الى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي تفضل
عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل
فايذان بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغاير والزلات المكفرة هو عندهم الاسوء لاستعظامهم المعصية
والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوء وحسنهم
بالاحسن وقرئ اسواء الذي عملوا جمع سوء أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه
ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده
وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث
خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد
اليها فهشم انفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل
بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر او أليس الله بكاف
انبياءه ولقد قالت اممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود عليه السلام ان نقول الا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدايد وكافل
مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة
من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وان يكون
مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم اجرهم بالذين من دونه اراد الاوثان
التي اتخذوها آلهة من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله
بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدايه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم
منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين
على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قلت لم فرض المسئلة في نفسه دونهم قلت لانهم خوفوه

معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير
فان ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة
من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتمونى اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات رحمته
حتى اذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم
عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل حسبي الله
فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه
قلت انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف
وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما
ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة
اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها
وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما استعير
هنا وحيث للزمان وهما للمكان اني عامل فان قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف
قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف ولا تزداد كل يوم قوة
وشدة لان الله تعالى معينه وناصره ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة
لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من
اوليايه وبذل ذليل من اعدايه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اى عذاب مخز له وهو
يوم بدر وعذاب دايم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن
اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم ليبشروا
ولينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار
الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف
مبني على الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها

وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية ويرسل الأخرى النائمة إلى أجل مسمى الوقت ضرب لموتها وقيل توفي الأنفس يستوفيها ويقبضها وهي الأنفس التي يكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتي يتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لأن نفس الحيوة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس قال في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لأن الله تعالى علق التوفي والموت والمنام جميعا بالأنفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وإنما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام إن في ذلك إن في توفي الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون وترى تقضى عليها الموت على البناء للمفعول أم اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله قل لله الشفاعة جميعا أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا قل أولو كانوا معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض له ملك السماوات والأرض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فإن قلت بم اتصل قوله ثم إليه ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السماوات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون مدار المعنى على قوله وحده أي إذا أفرد الله بالذكر

ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أي نفروا وانقبضوا وإذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله إلى هواهم فيها وقيل إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غيظا وغما حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه فإن قلت ما العامل في إذا ذكر قلت العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم وإعذار لرسول الله عليه السلام وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع ابن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتليه وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي أنه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم وعيد لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله تعالى وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة

التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء قال انما اوتيته على علم اى على علم منى انى
ساعطاه لما فىّ من فضل واستحقاق او على علم من الله بى وباستحقاقى او على علم منى بوجوه الكسب
كما قال قارون على علم عندى فان قلت لم ذكر الضمير فى اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به
الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعم وقسما منها ويحتمل ان تكون ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع
اليها الضمير على معنى ان الذى اوتيته على علم بل هى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون بل هى فتنة انكار لقوله
كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة اى ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر
فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر
لما كان مؤنثا اعنى فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه فى معناه كقولهم ما جاءت حاجتك
وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب فى عطف هذه الآية بالفاء
وعطف مثلها فى اول السورة بالواو قلت السبب فى ذلك ان هذه وقعت مسببة
عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون
بذكر الالهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما
بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت
ما فى الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما
عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد
دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة
ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل
مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم
النظم والا بقيت محتجبة فى اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت
جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اى وجه وقعت
مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدودهم عنه قلت
فى هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر

لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجئ بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين
التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه فى جعله سببا فى الالتجاء فانت
تحكى ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجيب من فعله قد قالها
الضمير راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قاله على معنى القول والكلام وذلك
الذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكانهم قالوها
ويجوز ان يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء من مشركى قومك سيصيبهم
سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس
عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل ان فى ذلك لآيات
لقوم يؤمنون قل يا عبادى الذين اسرفوا جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها لا تقنطوا قرئ بفتح
النون وكسرها وضمها من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا بشرط التوبة انه هو الغفور الرحيم وقد تكرر ذكر
هذا الشرط فى القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن فى حكم كلام واحد
ولا يجوز فيه التناقض وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد
بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل فى قراءة النبى صلى
الله عليه وسلم وفاطمة يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله ولا يخاف
عقباها وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرم الله
لم يغفر الله له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التى حرم الله فنزلت وروى
انه اسلم عياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا
نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا
وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لى الدنيا
وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث
مرات وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة

لئلا يطمع طامع في حصولها من غير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه من قبل أن يأتيكم العذاب
ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أي يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم
أن تقول نفس كراهة أن تقول نفس فإن قلت لم نكرت قلت لأن المراد بها بعض الأنفس
وهي نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب
عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الأعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا
وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت
وقد اختلس الطعنة ولا يقصد إلا التكثير وقرئ يا حسرتي على الأصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض
والمعوض منه على ما فرطت في جنب الله الجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان
لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري أما
تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر
في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى إلى قوله إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت
على ابن الحشرج ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك وفي الحديث من الشرك الخفي
أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء
الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى في ذات الله فإن قلت فمرجع كلامك
إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى
فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت
في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة رضي الله عنهما في ذكر الله وما
في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وإن كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله
حتى سخر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال
سخريتي وروي أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق أتاه إبليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب
فأطاعه وكان له مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال يا حسرتي على ما فرطت
في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله

خبره في القرآن أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة
فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين لو أن الله هداني لا يخلو إما أن
يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الألطاف
فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وإنما يقول هذا تحيرا في أمره وتعللا
بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم
وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله
وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فإن قلت
هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لأنه لا يخلو إما
أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول
لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط
في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال
النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب فإن قلت كيف صح أن تقع بلى
جوابا لغير منفي قلت لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز
أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا
مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متستترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا بإثباتهم
معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان
من رؤية القلب أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا وقرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال
فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم
فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس
رضي الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول

الجنة ويجوز أن يسمى الفعل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة
فإن قلت لا يمسهم ما محله من الإعراب على التفسيرين قلت أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام
مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد
السماوات والأرض أي هو مالك أمرها وحافظها وهي من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر
أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها
وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية فإن قلت ما للكتاب العربي المبين وللفارسية
قلت التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فإن قلت بم اتصل قوله
والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين
كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين
فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السماوات والأرض فالله خالقه
وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضي الله عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السماوات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك
تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول
والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات
الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
أفغير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون
استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني
وتقولون لي أعبد والأصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى ألا تراك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير
الله تأمروني أن أعبده وأفغير الله تأمروني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد
بالنصب وقرئ تأمرونني على الأصل وتأمروني على إدغام النون أو حذفها ولقد أوحي إليك
وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء

أي ليحبطن الله أو الشرك فإن قلت الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد قلت
معناه أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن
أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا فإن قلت ما الفرق بين اللامين قلت الأولى موطئة
للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط
فإن قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم قلت هو على سبيل
الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في
الأرض كلهم جميعا يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه فإن قلت
ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن
في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول
أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد
رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله
فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك من أن جعلك
سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف تقديره بل الله أعبد فاعبد لما كان
العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه
قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته و
جلالة شأنه على طريقة التخييل فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه
والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله
لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقية أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى أن
جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله تعالى يمسك السماوات
يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع وسائر
الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ
تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه
علماء البيان من غير تصور إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره

على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأذهان
ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل
هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون
على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره
وعليته تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديما وما أتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير
حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة
إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل
وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن
من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالأرض الأرضون السبع
يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسماوات ولأن الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة
ومع القصد إلى الجمع تأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد
لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من
أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى
القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون
جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن
لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان
والقلة جرعته أي ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة
فردة من جرعاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه
بكف واحدة فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا مشبها للموقت
بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب
وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته
وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض
عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به

من أمثاله وانثل عنه على الروع وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع
المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السماوات في حكم الأرض ودخولها
تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون ما أبعد من هذه قدرته وعظمته
وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من
شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فإن قلت أخرى ما محلها من الإعراب قلت تحتمل الرفع والنصب
أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى
ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها
في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب وقيل
ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم وأشرقت الأرض
بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل
نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع
من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط
في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه لأنه هو
الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه
ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها
هو الذي يعدل فيها وإنما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين
والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك
وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون أظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم
ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول من
شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها
عدلا والكتاب صحائف الأعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون
للأمم وعليهم من الحفظة والأخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا
الزمر الأفواج المتفرقة بعضها في إثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل

زمرا الذين اتقوا اي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم حتى اذا جاءوها
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
ونيز تذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت اراد وقت النار وقيل هذا وهو وقت دخولهم
النار لا يوم القيمة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا
علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ولكن وجبت علينا كلمة العذاب الله تعالى لاملأن لسوء اعمالنا
كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل
بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره
فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها
وفتحت ابوابها حتى هي التي يحكى بعدها الجمل والجمل المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها
محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق
موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول
اهلها فيها واما ابواب الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو
كانه قيل حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا
بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى
والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم
لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم
من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره
طبتم من دنس الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار
الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب
لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة
الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب
خالدين مقدرين الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة

حيث نشاء فنعم اجر العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد
اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه
واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم
مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث
يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم
يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين به لا متعبدين وقضي بينهم بالحق فان قلت الام يرجع الضمير
في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون
الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا
لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق
فان قلت قوله وقيل الحمد لله رب العالمين من القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد
واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا
منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم
القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا الله وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

حم قرئ بامالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار
اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف
وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو التوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل
والزيادة يقال لفلان على فلان طول اي فضل والافضال يقال طول عليه وتطول اذا تفضل فان قلت
كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف قلت
اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل
التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك

اما غافر الذنب

وكذا والله فكان تحليتها حكم آله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وكونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل إنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما يسهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال فإن قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين نعمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر رضي الله عنه أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة

أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالا في القرآن كفر وإيراده منكرا وإن لم يقل إن الجدال تمييز منه بين جدال وجدال فإن قلت من أين تسبب لقوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد ما قبله قلت من حيث إنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد وفي قوله لا يغررك ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه وقال كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم من بعدهم وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم فكيف كان عقاب فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار وقرئ كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع

وفي الحديث أن الله تعالى امر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على
سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير
المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر
وقرأ ابن عباس العُرش بضم العين فإن قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن
حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون قلت فائدته إظهار شرف الإيمان
وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير
بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر
لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالإيمان
لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان
من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال
لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزه عن صفات الأجرام وقد روعي التناسب في قوله
ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم
وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعثه على إمحاض
الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان
ولا بين سماوي وأرضي قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي
حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
أي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا فإن قلت
تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا
كل شيء في المعنى والأصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل
إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأنه

ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فإن قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما
بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر إلا الغفران وحده قلت معناه فاغفر للذين
علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا إليها ربنا وأدخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم
أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بداعي الحكمة وموجب حكمتك
أن تفي بوعدك وقهم السيئات أي العقوبات أو جزاء السيئات بحذف المضاف على أن السيئات
هي الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم فإن قلت ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون
صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة
الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلُح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلُح
فهو صليح وذريتهم إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون
أي ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله أكبر من مقتكم والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من
مقتكم أنفسكم فاستغني بذكرها مرة وإذ تدعون منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم يوم
القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان
فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذ أوقعتكم
فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله
وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا وإذ تدعون تعليل والمقت أشد البغض فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشده
قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إماتتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد
بالإماتتين خلقهم أمواتا أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياءة الأولى
وإحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا
عن ابن عباس فإن قلت كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة قلت
كما صح أن تقول سبحان من صغّر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل وقولك للحفار ضيّق فم الركية

ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر الى كبر ولا من كبر الى صغر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احياآت وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتحمل فيجعل احدها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله الا من شاء الله فان قلت كيف تسبب هذا القول **فاعترفنا بذنوبنا** قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم **فهل الى خروج** اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء **من سبيل** قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله **ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا** اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به **فالحكم لله** حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله **العلي الكبير** دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كأن الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا الكلام **هو الذي يريكم آياته** من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها **وينزل لكم من السماء رزقا** المطر لانه سببه **وما يتذكر الا من ينيب** وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين **فادعوا الله** اي اعبدوه **مخلصين له الدين** من الشرك **ولو كره الكافرون** وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم **رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده** ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء

فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة **يلقي الروح** الذي هو سبب الحيوة **من امره** بيان للروح الذي هو امره بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه **لينذر يوم التلاق** لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد **يوم هم بارزون** ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا **لا يخفى على الله منهم شيء** اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شيء فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمون قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب** فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها **وانذرهم يوم الآزفة** **اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** الآزفة

القيامة سميت لأزوفها أي لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم
دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها
فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجى كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فإن قلت
كاظمين بم انتصب قلت هو حال من أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم
كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر
وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين
وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم
أي وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين والحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في
المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في أنها لا تكون إلا لمن فوقك فإن قلت ما معنى قوله
ولا شفيع يطاع قلت يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة
كقولك ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك كتابا إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا
وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فإن قلت
فعلى أي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء
الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه وأن الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم وإذا لم يحبوهم
لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله عز وجل وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولأن
الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم
من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فإن قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة
في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف
مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف
بيانه أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس أركبه ولا معي سلاح أحارب به فقد جعلت
عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع
والاستشهاد على عدمه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي

أن يتوهم خلافه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية
بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ولا يحسن أن يراد الخائنة من
الأعين لأن قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فإن قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الأعين
قلت هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر
يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته
والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء يعني والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي إلا بالحق
والعدل لاستغنائه عن الظلم وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا
يقال فيه يقضي أو لا يقضي إن الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور
ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله
وأنها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالياء والتاء أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
هم في كانوا هم أشد منهم فصل فإن قلت من حق الفصل أن لا يقع إلا بين معرفتين فما باله واقعا
بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في أنه لا يدخله الألف واللام فأجري مجراه
وقرئ منكم وهي في مصاحف أهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وما يوصف بالشدة من آثارهم
أو أراد وأكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله
إنه قوي شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات إلى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق
من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم فإن قلت أما كان قتل الأبناء واستحياء
النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت
قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل
الذي كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الأول وما كيد الكافرين إلا في ضلال في ضياع وذهاب
باطلا لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغني
هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم

غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا
وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس الذي تخافه وهو اقل من
ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت
الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون عليه اللعنة كان
استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان الرجل فيه خب وجربزة وكان قتالا
سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه
كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن
دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في
نفسه من الفزع اني اخاف ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل
قوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج الذي يذهب
معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف
ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف
اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد
منصوب اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظّهّر بتشديد الظاء والهاء من تظهّر بمعنى تظاهر اي تتابع
وتعاون وقال موسى اني عذت بربي وربكم لما سمع موسى باجراء فرعون من حديث قتله قال لقومه اني
عذت بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا
بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة
التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه
ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب
بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة
الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال
عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا من آل فرعون
صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل

والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلّوا ولم يعزّوا والدليل عليه قول
فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح
لقومه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك
صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان يقول لان يقول وهذا الانكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه
قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي
نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب
اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم وليكسر
من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا
القول من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها و
شهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا
فان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما
يعدكم ان تعرضتم فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان
يصيبهم كله لا بعضه قلت لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم
ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب
الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو
كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا
فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر
الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه
وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
فان قلت عن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها
او يرتبط بعض النفوس حمامها قلت ان صحت الرواية فقد حق فيه قول المازني في مسئلة
العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا
كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة

ولما عصك بالبينات وقيل ما أتى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف بالبيت
ضحوة فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك
فقام أبو بكر فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن مؤمن آل فرعون
قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل
فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا
أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال
ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال فرعون ما أريكم إلا
ما أرى أي ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب
وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب
ولا أدخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب
فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره
لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد
بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذاك لأن فعالا من أفعل لم يجئ إلا في
عدة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار من أجبر وليس بذاك لأن فعالا من أفعل لم والصحيح
القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل
وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم
بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع
لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم دأب هؤلاء دءوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب
وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم
فإن قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته
الإضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم

إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناوله ولفقد الإضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني أن تدميرهم
كان عدلا وقسطا لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي
إرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى
أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يريد لهم أن يظلموا
يعني أنه دمرهم لأنهم كانوا ظالمين ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد التنادي ما حكى الله في سورة
الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون
تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من
أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة
صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا أقبلوا إلى الحساب يوم تولون مدبرين
عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين
ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في
شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب
هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب
أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل
هو فرعون آخر ووبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى إذا
قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب
الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله
من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة
من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي
كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله أي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله
كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا
عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار الذين يجادلون بدل من من
هو مسرف فإن قلت كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لأنه لا يريد مسرفا واحدا

لكأنه قال كل مسرف فإن قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فإن قلت أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع في المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس ببدع أن تحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الأذن ونحوه قوله عز وجل فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر وأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أدى إلى الشيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه فإن قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السماوات قلت إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل وما كيد فرعون إلا في تباب التباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا

متاع وإن الآخرة هي دار القرار قال أهدكم سبيل الرشاد فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة ثم ثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله تعالى استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح على أن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب بل ما يشبه من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ويا قوم فإن قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم صلوات الله عليه في نصيحة أبيه يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له بعلم أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلها لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة لا جرم سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته والمعنى

انه حصل لكم من ذلك ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما
ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم
ان لهم النار اى لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوتهم
الاصنام اى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم
وسكون الراء بزنة بُد وفُعل وفَعَل اخوان كرُشد ورَشَد وعُدم وعَدَم ليس له دعوة معناه ان
ما تدعونني اليه ليس له دعوة الهية قط اى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو
العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية
ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع
شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه
ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة
لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في
قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وان
مردنا الى الله وان المسرفين عن عبادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين
غلب شرهم خيرهم هم المسرفون هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وقرئ فستذكرون اى فسيذكر
بعضكم بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم
وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون سوء العذاب
ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف
كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم
للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم
به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب
على الاختصاص غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا في هذين الوقتين يعذبون في النار وفيما بين
ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا
عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم

وقرئ ادخلوا آل فرعون اى يقال لهم ادخلوا آل فرعون الخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب
معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا
فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لم يعذبوا بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان
بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانهم هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط
في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن
وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم
بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذ واذكر وقت اذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا تباعا كالخدم في جمع خادم او ذوى تبع اى اتباع او وصفا بالمصدر
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها وقرئ كلا على
التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت
هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف
متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل
بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فان قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا
وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام
تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس
في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف وفيها اطغى الكفار واعتاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب
اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تأتيكم
رسلكم بالبينات الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا
الاسباب التي يستجيب الله تعالى لها الدعوات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة
مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على
الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة

الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان
غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد
حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة
محمد صلى الله عليه وسلم ليكونوا شهداء على الناس يوم بدل من اليوم الاول لا ينفع الظالمين معذرتهم يحتمل انهم
يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اى سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ يقوم ولا ينفع بالياء
والتاء ولقد آتينا موسى الهدى يريد به جميع ما آتاه فى باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع
واورثنا بنى اسرائيل وتركنا على بنى اسرائيل من بعده الكتاب اى التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة
وانتصابهما على المفعول له او الحال لاولى الالباب للمؤمنين به العاملين بما فيه فاصبر ان وعد الله حق واستغفر
لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار يعنى ان نصرة الرسل فى ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه
من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه فى بنى اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم
ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص
فان العاقبة لك وما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى واستدرك الفرطات
بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشى والابكار وقيل هما صلوتا الفجر والعصر ان الذين يجادلون
فى آيات الله بغير سلطان اتاهم ان فى صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد
فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة
تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان
خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه
وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا
يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه
الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم
فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون
البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت كيف اتصل قوله

لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس بما قبله قلت ان مجادلتهم فى آيات الله كانت
مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا
مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل
مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد
بخلق مثله ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم
اهواءهم وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ قليلا ما يتذكرون
ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسئ وقرئ يتذكرون بالياء والتاء اعم ان الساعة
لآتية لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس فيه ارتياب لانه لا بد من جزاء ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعونى اعبدونى والدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه
قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى استجب لكم اثبكم وفى تفسير مجاهد اعبدونى
اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثورى انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو
الدعاء وفى الحديث اذا شغل عبدى طاعتى عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطى السائلين وروى
النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز ان يريد
الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتى دعائى لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها
يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب قال اعطى الله هذه الامة ثلاثا لم
يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبى انت شاهدى على خلقى وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء
على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعنى استجب
لك وقال لنا ادعونى استجب لكم وعن ابن عباس وحدونى اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم
للعبادة بالتوحيد ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين صاغرين الله
الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا من الاسناد المجازى لان الابصار فى الحقيقة
لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى
حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل

لتبصروا فيه فانت الفصاحة التي في الإسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون
على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز إن الله لذو فضل على الناس
فإن قلت فهلا قيل لمتفضل أو لمفضل قلت لأن الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه
فضل وذلك إنما يستوي بالإضافة ولكن أكثر الناس لا يشكرون فإن قلت فلو قيل ولكن أكثرهم
فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون
فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلوم كفار ذلكم
المعلوم أخبار مترادفة أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق كل شيء وإنشائه لا يمتنع
عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فأنى تؤفكون فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان
ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا
الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالياء والتاء
الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهي أنه جعل
الأرض مستقرا والسماء بناء أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء في منظر العين
كقبة مضروبة على وجه الأرض وصوركم فأحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق
حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في أحسن تقويم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو فادعوه
مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن
عباس رضي الله عنه من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت
أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين
فإن قلت أما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من
الله قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله
أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات
ذكرا لأدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر تناصر الأدلة أدلة العقل
وأدلة السمع أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم

من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى
من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى لتبلغوا أشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما ولتبلغوا أجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت
الموت وقيل يوم القيامة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى
كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة أو من قبل
هذه الأحوال إذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت
فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون فإنما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته
على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار
إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين
كذبوا بالكتاب بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا من الكتب فإن قلت وهل قوله فسوف يعلمون إذ الأغلال
في أعناقهم إلا مثل قولك سوف أصوم أمس قلت المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلة لما كانت
في أخبار الله متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال والسلاسل
يسحبون في الحميم وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية
على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال
مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل
على العبارة الأخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كأنه قيل بمصلحين وقرئ
وبالسلاسل يسحبون ثم في النار يسجرون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه
سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله
تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك ثم قيل لهم أينما
كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فإن قلت أما
ذكرت في تفسير قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم
وقد ضلوا عنهم قلت يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم
ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم

صالّون عنهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً اى تبيّن لنا انهم لم يكونوا شيئاً وما كنا نعبد بعبادتهم
شيئاً كما تقول حسبت ان فلاناً شئ فاذا هو ليس بشئ اذا خبرته فلم تر عنده خيراً كذلك يضل الله
الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا
ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير
الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة
ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين
به مثواكم او جهنم فان قلت أليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله
فنعم المزار وصلّ في المسجد الحرام فنعم المصلّى قلت الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء فاصبر
ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط
ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك فان قلت
لا تخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك
فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصاً بالمعطوف
الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك
محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او نتوفينك قبل
يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم
منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله
قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله
عنه ان الله بعث نبياً اسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عناداً
يعني انا قد ارسلنا كثيراً من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فمن لي بان آتي بآية مما تقترحونه
الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله
القيامة قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم الآيات فانكروها
وسموها سحراً الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها

حاجة في صدوركم وعليها الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها
ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع او قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم
قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او
طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل
واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون
وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت هلا قيل
وفي الفلك كما قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء
كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعلها فلما صح المعنيان صحت العبارتان
وايضاً فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون جاءت على اللغة
المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات
نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثاراً قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم
اجرامهم في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما نافية او مستفهمة في محل النصب
والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شئ اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله
بل ادرك علمهم في الآخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيراً منها منقلباً
وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها
ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم
الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون
فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله
لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم
وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال

بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحوا فرح مرحين ويدل عليه وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها
أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم
وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم
واستهزائهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال الله تعالى يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات
وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها
واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا البأس شدة العذاب
ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فإن قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم
إيمانهم قلت هو مثل كان في نحو قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم
إيمانهم فإن قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت أما قوله فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر
وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف
فلم يحسن إلى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا
وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر
هنالك الكافرون سنة الله بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار
للزمان أي خسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله
قضي بالحق أي خسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلث وخمسون آية

١٦

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم

إن جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ وتنزيل خبره وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل
خبرا لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج أن يكون
تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ فصلت آياته

بقوله من الرحمن الرحيم

ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ
فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد
قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت
وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون أي لقوم عرب يعلمون
ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فإن قلت بم
يتعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو
فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا
يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ
محذوف فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع
قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ
بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها
كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وبين ما
هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا
تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك إننا عاملون على ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال
أمرك وقرئ إنا عاملون فإن قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت
نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى
أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها
فإن قلت هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت
هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى
إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع
منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني فإن قلت من أين كان قوله قل إنما أنا بشر مثلكم
يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد جوابا لقولهم قلوبنا في أكنة قلت من حيث أنه قال لهم إني لست

بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي دونكم فصحت بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي وجب
عليكم اتباعي وفيما أوحي إلي أن إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه فاستقيموا إليه بالتوحيد
وإخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً وشمالاً ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء
وتوبوا إلى الله مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال إنما أنا بشر وويل للمشركين الذين لا
يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون فإن قلت لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة
مقروناً بالكفر بالآخرة قلت لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في
سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل
ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم الآية أي يثبتون أنفسهم ويدلون
على ثباتها بإنفاق الأموال وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت
شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب
وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف
المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم
برسول الله وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم أجر غير ممنون الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لأنه إنما يمن التفضل
فأما الأجر فحق أداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم
الأجر كأصح ما كانوا يعملون قل أئنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بألف بين همزتين لتكفرون
بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك الذي قدر على خلق الأرض
في مدة يومين هو رب العالمين وجعل فيها رواسي جبالاً ثوابت فإن قلت ما معنى قوله
من فوقها ولم اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في
الأرض رواسي وجعل لها رواسي قلت لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها أو مركوزة
فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المنافع في الجبال معرضة
لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك لا بد لها
منه وهو ممسكها بقدرته عز وعلا وبارك فيها وأكثر خيرها وأنماه وقدر فيها أقواتها أرزاق

أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها في أربعة أيام سواء في تكملة
مدة خلق الأرض وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان
وقيل خلق الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقال الزجاج
في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على
الوصف والنصب على استوت سواء أي استواء والرفع على هي سواء فإن قلت
بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض
وما فيها أو بقدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه
الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج فإن قلت هلا قيل في يومين وأي فائدة في هذه
الفذلكة قلت إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين علم أن ما فيها
خلق في يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول في يومين وأن تقول في أربعة أيام سواء فكانت
في أربعة سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على أنها كانت أياماً كاملة بغير زيادة ولا
نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين
والآخرين أكثرهما ثم استوى إلى السماء من قولك استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهاً
لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام إليه وامتد إليه
ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما
فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك وهي دخان قيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض
على الماء فأخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها
فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو
كرهاً قالتا أتينا طائعين معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم
يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من
المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلاً ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض
وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته
في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد

لم تشتقي قال الوتد سل من يدقني فإن الذي ورائي لم يتركني ورائي فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والأرض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة أي لتوافق كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولتمتنعا فإن قلت ما معنى طوعا أو كرها قلت هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين فإن قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سماوات وأرضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين فقضاهن سبع سماوات في يومين فقضاهن يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سماوات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السماوات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخرها ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان فإن قلت فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء قلت الذي أورده سبحانه أخصر وأوضح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب وأوحى في كل سماء أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون

مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فإن أعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فحذرهم أي أن تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون من بين أيديهم ومن خلفهم أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فإن قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما فكأن الرسل جميعا جاؤوهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم وأن في أن لا تعبدوا بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف أي لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم

سكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد
كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب
فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به
التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية
وقالوا من اشد منا قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة
من الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة فان قلت القوة هي الشدة و
الصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات
او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو
اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد قلت القدرة في الانسان هي
صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما
صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد
قدرهم وكانوا بآياتنا يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو
معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا العاصفة التي تصرصر
اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر
اي يجمع ويقبض في ايام نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس
واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ولعذاب الآخرة وهم لا ينصرون وقرئ لتذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام
النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه
قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو من
الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر

شاعر واما ثمود قرئ بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء
وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت
اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية و
حصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه
مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها
فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب
والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية
الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه الآية لكفى بها حجة
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين
وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين والآخرين
الى النار فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي
عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته فان قلت ما في قوله
حتى اذا ما جاؤوها ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا
محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا
بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف
تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها
كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اراد بكل شيء كل شيء من
الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب
من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم
الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم

وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم وذلك الظن الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وإن يستعتبوا وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها ونحوه قوله عز وجل أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء أخلاء من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فإن قلت كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في أمم في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله إن تك عن أحسن الصنيعة يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد فإن قلت في أمم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس

إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغا يلغو ولغي يلغى واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال عن اللغا ورفث التكلم لعلكم تغلبون والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء أعداء الله النار ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة والنار عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف فإن قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها

ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان
وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا
العمل وعن علي رضي الله عنه ادّوا الفرائض وعن سفيان بن عبد الله قلت يا رسول الله اخبرني
بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان
نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاث مواطن عند الموت
وفي القبر واذا قاموا من قبورهم الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود
لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات
نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ما
تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة كما ان الشياطين
قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم ولكم فيها ما تدعون تتمنون نزلا من غفور رحيم النزل رزق النزيل وهو
الضيف وانتصابه على الحال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين
عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل
الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عائشة رضي الله عنها
ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون
موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل
العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام
ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ
بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض
اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه

مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت
ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية التي
هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فان قلت
فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن قلت هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن
السيئة وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا
التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة
ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس بالتي هي
احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن
والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا موذيا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي و
جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض
على شانك ولا تطعه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس
والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال
ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن فان قلت اين موضع السجدة قلت عند
الشافعي رحمه الله تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة
رحمه الله يسأمون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رحمهم الله
لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم
يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله
خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسأمون فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة

فمن عصم وثناهم فإن الله عز وجل لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون الذين
يقدسونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسا
مون بكسر الياء ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها
لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات
فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ
إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال
في الأطمار الرثة وقرئ وربأت أي ارتفعت لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض إن الذين
يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم
إنه بما تعملون بصير يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في
تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون
علينا وعيد لهم على التحريف فإن قلت بم اتصل قوله إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قلت
هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله
وإنه لكتاب عزيز أي منيع محمي بحماية الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به
فإن قلت أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته
عن تعلق الباطل به بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن
إلا ممحوقا ولا قول مبطل إلا مضمحلا ونحوه قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ما يقال لك
أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات
المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة ورحمة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدا
ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله إن ربك لذو مغفرة وذو
عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة ولو
جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم
فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته أي بينت ولخصت

بلسان عربي تفهمه أأعجمي وعربي الهمزة همزة الإنكار يعني لأنكروا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي
أو مرسل إليه عربي وقرئ أعجمي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب
إلى أمة العجم وفي قراءة الحسن أعجمي بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل إليه
عربي والمعنى أن آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لأن القوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون
أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب
فإن قلت كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب قلت هو على ما يجب أن يقع
في إنكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب إلى قوم من العرب يقول أكتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن
مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن
يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا
على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة
وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما قل هو أي القرآن
للذين آمنوا هدى وشفاء إرشاد إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فإن قلت والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في
موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر إلا أن فيه عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وإما أن يكون مرفوعا على تقدير و
الذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر وهو عليهم عمى وقرئ
وهو عليهم عم وعمي كقوله تعالى فعميت عليكم أولئك ينادون من مكان بعيد يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه
أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولقد
آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو باطل وقال بعضهم هو حق ولولا كلمة سبقت من
ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا
ذلك اليوم لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى من عمل
صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن أساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسيء إليه يرد علم الساعة
إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه

وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من
خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من
الخداج والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك ويوم يناديهم أين شركائي أضافهم إليه
على زعمهم وبيانه في النداء قوله أين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا آذناك أعلمناك ما
منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك وما منا
الأمر هو خلاف ذلك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها
في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى
ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم وظنوا وأيقنوا ما لهم من محيص
المحيص المهرب فإن قلت آذناك إخبار بإيذان كأنهم قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز أن
يعاد عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي
ويجوز أن يكون المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه
إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء للإيذان ولا يكون إخبارا بإيذان قد كان
كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت لا يسأم الإنسان من دعاء الخير من طلب السعة في المال
والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وإن مسه الشر الضيقة والفقر فيؤوس قنوط بولغ فيه
من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر
أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا ييأس من روح الله إلا
القوم الكافرون ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وإذا فرجنا عنه
بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال هذا لي أي هذا حقي وصل إلي لأني استوجبته بما عندي من خير
وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو هو
وما أظن الساعة قائمة أي تقوم إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده
للحسنى يريد وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم إن لي عنده الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا
أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى
ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن الذين كفروا بما

عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم
عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وذلك أنهم ما عملوا من عمل جعلناه
هباء منثورا وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا
يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى
بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه
الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره ونأى بجانبه أي ذهب
بنفسه وتكبر وتعظم وإن مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرع
وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ
لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء
في رأى فإن قلت حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه قلت فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه
كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت
عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان ومنه قول الكتاب
حضرة فلان ومجلس فلان وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال
ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء
وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه
قل أرأيتم أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد
يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصل لكم منها اليقين
وثلج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون
من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضل منكم
وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله من هو في شقاق
بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
أنه الحق من ربهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار
دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم

لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم
على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات
ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب
المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من
آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه
الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب
والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل اولم يكف
بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على
كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده
غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة
ولما نصر حاملوه هذه النصرة الا انهم في مرية من لقاء ربهم وقرئ في مرية بالضم وهي الشك الا انه بكل شيء
محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم
ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف
عشر حسنات سورة حم عسق مكية وهي ثلث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم عسق قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم حم سق كذلك يوحي اليك والى الذين من
قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السماوات وما في الارض وهو العلي العظيم اي مثل ذلك الوحي
او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني
قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر
هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده
من الاولين والآخرين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ
يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه
يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم

شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم فان قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي
بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر تكاد السماوات
يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم
تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون
ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته
يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السماوات يتفطرن منه فان قلت
لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السماوات وهي العرش
والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار
ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان
كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السماوات فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة
التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة
التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان قلت
كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله
والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض
وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة
لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المؤمن
ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم
بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة
ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السماوات والارض
ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم
عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت قد فسرت قوله تكاد السماوات يتفطرن
بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما على احدهما فكأنه قيل تكاد السماوات ينفطرن

هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش
صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض
خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكأنه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة
والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له
على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل
الارض الذين تبرءوا من تلك الكلمة ومن اهلها ويطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم
بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق في توبة الكفار والفساق
منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد عليهم بوكيل
بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب وكذلك ومثل ذلك اوحينا
اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير
لهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول
اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان
يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك
لتنذر ام القرى يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول
الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل
القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لان الخلائق
تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل
وعمله لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على
منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين
كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة
قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة
متفرقين في مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم

امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده
هو القادر على الاكراه دون غيره ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
المعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على
ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين
ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه ام اتخذوا من دونه اولياء معنى الهمزة في ام الانكار
فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله
جواب شرط محذوف مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي
بالحق لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شأن هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان
يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين
اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكمه
فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم
الحاكم بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه انيب واليه ارجع في كفاية شرهم
وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية و
اشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم
الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في
احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فاطر السماوات والارض قرئ بالرفع
والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السماوات
وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم من الناس
ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا معناه وخلق للانعام ايضا من انفسها

ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذرء والذرو والذر اخوات فيه
في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل
والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل
وهي من الاحكام ذوات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت
جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال
ولكم في القصاص حيوة ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون
نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن
هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك
انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث
رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه
فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قولك ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه
الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله
عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن
الجود لا يقصدون شيئا اخر حتى انهم استعملوه فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا
مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن
قال فاصبحت مثل كعصف ماكول له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء
ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد
اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما
يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة
قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين
عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله ان هذه امتكم

امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي اليه
يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه
ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم
الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من
ربك وهي عدة التاخير الى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل
الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله عم لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة
واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما
بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل
وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اوتوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القران من بعد ما اورث
اهل الكتاب التورية والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من
تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة
اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب باي كتاب
صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة
بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد
حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا واليه المصير يوم القيمة فيفصل بيننا
وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف
حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد
محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب
له الناس من بعد ما دخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى
بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام حجتهم داحضة باطلة زائلة

انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان العدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي
يوزن به بالحق ملتبسا مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من
التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل قريب ولعل مجيء الساعة قريب فان
قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب
ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي
يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري
ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب
المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده بر بليغ البر
بهم قد توصل بره الى جميعهم ويوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم اصنافه كلياته وجزئياته فان
قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو
احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة
والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس لذلك الوصف
لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق
احد الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر
القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاة
حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بان من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان
عمله للدنيا اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط
في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا
محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب معنى الهمزة في ام
التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا
يعلمون غيرها وهو الذي شرعت له الشياطين وتعالى الله عن الاذن والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم
وانما اضيفت اليهم لانهم يتخذونها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما
كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم عم انهن اضللن كثيرا من الناس

ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي
بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وان الظالمين
بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم
في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من
السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا
كان روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤون قرئ
يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف
الجار كقوله واختار موسى قومه ثم الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير
الذي يبشره الله عباده روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسأل
على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم
اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم وكانت صلتهم
لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم اجرا قط ولكنني اسألكم ان تودوا قرابتي
الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى
قوله الا المودة في القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي
فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت
الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة
ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي
انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال عم علي وفاطمة
وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضه شكوت الى رسول الله عم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون
رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا
خلف ازواجنا وعن النبي عم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى
احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وروي ان الانصار
قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام

فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلي يا رسول الله قال الم تكونوا ضُلّالا فهداكم الله بي قالوا بلي يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتي جثوا علي الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله صلعم من مات علي حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات علي حب آل محمد مات مغفورا الا ومن مات علي حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات علي حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات علي حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات علي حب آل محمد يزف الي الجنة كما يزف العروس الي بيت زوجها الا ومن مات علي حب آل محمد فتح له في قبره بابان الي الجنة الا ومن مات علي حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات علي حب آل محمد مات علي السنة والجماعة الا ومن مات علي بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات علي بغض آل محمد جاء يوم القيمة كافرا الا ومن مات علي بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قرابة فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعني الا ان تودوني في القربي اي في حق القرابة ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعني في حقه ومن اجله يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربي ولا تؤذوني وتهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وما لك سعة فاستعن بهذا علي ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربي التقرب الي الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربي ومن يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلعم نزلت في ابي بكر رض ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربي دل علي انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسني وهي مصدر كالبشري الشكور في صفة مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل علي المثاب ام منقطعة ومعني الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اتمالكون ان ينسبوا مثله الي الافتراء علي الله الذي هو

اعظم الفرية وافحشها فان يشاء الله يختم علي قلبك فان يشاء الله يجعلك من المختوم علي قلوبهم حتي يفتري عليه الكذب فانه لا يجتري علي افتراء الكذب علي الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم علي قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمي قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمي القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه علي انه ركب في تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق علي باطله فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلعم بانه يمحق الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدورك وصدورهم فيجري الامر علي حسب ذلك وعن قتادة يختم علي قلبك ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افتري علي الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم علي قلبك ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افتري علي الله الكذب لفعل به ذلك يربط عليه بالصبر حتي لا يشق عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف علي يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قراءة ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية علي انها مثبتة في بعض المصاحف يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعني قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ قبوله ومنشاءه ومعني قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم علي ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي علي طريقه وروي جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلعم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رض يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الي التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع علي ستة معان علي الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنب ويعلم ما تفعلون قرئ بالياء والتاء اي يعلمه فيثيب علي

حسناته و يعاقب على سيآته ويستجيب الذين آمنوا اي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله تعالى واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا واذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها و يزيدهم هو في فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا **لبغوا** من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وهذا على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عم اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب قد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها **بقدر** بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا **خبير بصير** يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن قرئ **قنطوا** بفتح النون وكسرها **وينشر رحمته** اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رض انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته **الولي** الذي يتولى عباده باحسانه **الحميد** المحمود على ذلك يحمده اهل الطاعة **وما بث** يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا حملا على المضاف اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشيء الى جميع

المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم او قبيلة من قبايلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عم مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق **اذا** يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا ما اشاء وقال الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا في مصاحف اهل العراق **فبما كسبت** باثبات الفاء على تضمين معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرمين ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن النبي عم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفي عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعاته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيمة ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي رض وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه عم هذه ارجى آية للمؤمنين في القرآن **بمعجزين** بفائتين ما قضي عليكم من المصائب **من ولي** من متول بالرحمة **الجوار** السفن وقرئ الجوار **كالاعلام** كالجبال قالت الخنساء كانه علم في رأسه نار وقرئ الرياح **فيظللن** بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل **رواكد** ثوابت لا تجري **على ظهره** على ظهر البحر **لكل صبار** على بلاء الله **شكور** لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله وقدرته فهو يستملي منها العبر **او يوبقهن** يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل المسافرين في البحر باحدى البليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب **ويعف عن كثير** منها فان قلت

الذعر بالضم الخوف وبالفتح التخويف قاموس

علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن
بعصفها فان قلت فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشأ
يهلك ناساً وينج ناساً على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام
فان قلت فما وجوه القراآت الثلث في ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع
فعلى الاستيناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون
ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله ولنجعله آية للناس وقوله وخلق
السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها
جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت
واكرمك جزماً ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله
ان تأتني آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد
الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلاً لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول
فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل
القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه
منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فان قلت كيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه
قال او ان يشأ يجمع من ثلثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه
ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضه اجتمع لابي بكر رضه مال
فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون
عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الاثم [والفواحش] من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس
رضه كبير الاثم هو الشرك [واذا ما غضبوا] هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما
يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتداء واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم
ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له
بان آمنوا به واطاعوه واقاموا الصلوة واتموا الصلوات الخمس كانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول
الله عم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى

يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
ومعنى قوله وامرهم شورى اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله عم وعمر بن الخطاب رضه الخلافة
شورى هو ان يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قرأها
قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فان قلت أهم محمودون على الانتصار
قلت نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم او رد على
سفيه محاماة على عرضه وردعاً له فهو مطيع وكل مطيع محمود كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها
تسوء من نزلت به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب و
البلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان يقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله فمن
عفى واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا
يكاد يؤمن فيه تجاوز السوية والاعتداء خصوصاً في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي
من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي عم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم
قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا
الجنة باذن الله [ولمن انتصر] بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول ويفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك اشارة
الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب انما السبيل على الذين يظلمون
الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون ولمن صبر على الظلم
والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم
كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح
العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو
مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوباً اليه وذلك اذا احتيج الى
زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي عم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة بحضرته وكان
ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك فانتصري ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده
فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق

من الذل ينظرون ويوقف على خاشعين من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي
بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها
ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم فذلك نظر
من طرف خفي وفيه تعسف يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما
ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله
بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اي ما لكم
من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم اراد بالانسان
الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما
يستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف و
الكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان
الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر
اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب
من الاولاد ما تقتضيه مشيته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم
آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع
فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان
بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق
الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان
اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما
اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال
ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه
من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال
خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء عم حيث وهب
لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عم عقيمين انه عليم بمصالح

العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلاثة اوجه اما على طريق الوحي
وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى عم والى ابرهيم في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله
الزبور الى داود عم في صدره قال عبيد بن الابرص فاوحى الي الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على
رجلي اي الهمني وقذف في قلبي واما ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه
لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع
صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى عم ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم
الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء
على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب
واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او
مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا
والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير
واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء
حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل
فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا
فيوحي بالرفع او يرسل بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي عم الا تكلم الله
وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى عم ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله
فنزلت وعن عائشة رضه من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت
هذه الآية انه علي عن صفات المخلوقين حكيم تجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وتارة بغير
واسطة اما الهاما واما خطابا روحا من امرنا يريد ما اوحى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد
بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله عم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان و
الانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان
يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر والصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر
قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه

التسع دون العقل فذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له
فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلعم من قرأ
حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية قال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالكتاب
المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب
القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين
الذي انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طريق الهدى
طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى
الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار
لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا
لولا فصلت آياته وقرئ ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب
لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها
حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم
الذكر صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول
الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم
من انزال الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بموجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه
اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم و
اما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على
الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه
آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم اي لان
كنتم وقرئ لان كنتم واذ كنتم فان قلت كيف استقام معنى الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت

قلت هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك
فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق
مع وضوحه استجهالا له وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول
الله صلعم عن استهزاء قومه والضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول صلعم
يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي
حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلعم ووعيد لهم فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز
العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتة كذلك
تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن
العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه
بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا الازواج الاصناف ما تركبون اي تركبونه
فان قلت يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت
غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون
وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم
تحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما روي عن النبي صلعم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلثا
وهلل ثلثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسن بن
علي رضه انه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الله سخر لنا هذا فقال بهذا امرتم فقال بم امرنا قال
ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم
على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف
الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن
هرمة واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة اقرنه وجده قرينته
وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ
مقرنين والمعنى واحد فان قلت كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب

الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب الى الله
غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه
والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام
من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني
الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى يميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن
وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا أوامره ولقد بلغني أن بعض السلاطين ركب
وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا
أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند
الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خلق
السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات
المخلوقين ومعنى من عباده جزءا أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون
الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزء في لغة
العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه
أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا: ان أجزأت حرة يوما فلا عجب. زوجتها من بنات الأوس
مجزئة. وقرئ جزءا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد اليه كفر والكفر
أصل الكفران كله أم اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن
جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون الذكور على أنهم
أنفر خلق الله عن الاناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن
اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم
أنه آثركم على نفسه بخير الجزئين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين
وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لأنه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه
فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم أن

أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب
أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت: ما لأبي حمزة لا يأتينا. يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا. ليس لنا من أمرنا ما شينا. وانما نأخذ ما أعطينا. والظلول بمعنى الصيرورة
كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود
جملة واقعة موقع الخبر تقديره ظل هو وجهه مسود ثم قال أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ في الحلية يتربى في الزينة
والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي
ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة
فأرادت أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشوء في الزينة والنعومة من المعايب
والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش
كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا وتمعددوا وان أراد أن يزين نفسه زينها من الباطن بلباس التقوى
وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا
اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم
وقرئ عبيد الرحمن وعباد الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وأنثا جمع الجمع ومعنى
جعلوا سموا وقالوا انهم اناث أشهدوا خلقهم قرئ أشهدوا وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة
ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى
علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم
فلم يبق الا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على
الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب بالياء والنون وشهاداتهم وشهادتهم
ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان أيضا مضمومتان الى الكفرات
الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة
فان قلت فما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين

قلت لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء أنه لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى
عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين
وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين
بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لو جعلوا في النطق
بها ملحمين من قبيل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات
كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم إلا التعويج كتاب الله الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها
هزؤا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء
كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا
فإن قلت فما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون في ذلك القول
لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله سيقول الذين أشركوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم أم آتيناهم كتابا من
قبله فهم به مستمسكون الضمير في من قبله للقرآن أو للرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله
بالله قولا قالوه غير مستند إلى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح
إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل قالوا بل لا حجة لهم يستمسكون
بها إلا قولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة على دين وقرئ إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة
الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول إليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد
وقيل على نعمة وحالة حسنة وإنا على آثارهم مهتدون على آثارهم مهتدون خبران أو الظرف صلة
لمهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم
فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه إنا وجدنا آباءنا على أمة
وإنا على آثارهم مقتدون قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون
قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم قالوا إنا ثابتون
على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين

وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين قرئ براء بفتح الباء
وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان
والجمع والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه أن يكون منصوبا
على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فإنه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور
بمن كأنه قال إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني فإن قلت كيف تجعله بدلا وليس من
جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة للذوات
التي يعبدون والثاني أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون
الله مع أوثانهم وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن ما في ما تعبدون موصوفة تقديره إنني براء من آلهة
تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فإن قلت ما معنى قوله
سيهدين على التوكيد قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه
قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها وجعل إبراهيم صلوات
الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه
في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده لعلهم يرجعون لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء
من وحد منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه
كذلك وفي عاقبه أي فيمن عقبه أي خلفه بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر
والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد
حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به
وسموه سحرا وما جاء به ساحرا ولم يوجد منهم ما رجاه إبراهيم وقرئ بل متعنا فإن قلت فما وجه
قراءة من قرأ متعت بفتح التاء قلت كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد
وأراد بذلك الإطناب في تعييرهم لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة
الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لا أن يشركوا به ويجعلوا لله أندادا فمثاله أن يشكو الرجل إساءة

من أحسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام
توبيخ المسيء لا تبجح بفعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما
جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد من التمتيع ما هو سبب له
وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد
حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا
الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار
على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه وقالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من
القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احداهما والقريتان مكة والطائف وقيل من
رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس
وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة
ابن مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة ابن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا
رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤوا بالانكار من وجه
آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وارادوا بعظم
الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما أهم يقسمون
رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة
والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته
وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في
دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها
فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء
واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم

وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او علي ابي مسعود الثقفي

في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم
وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا
على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى
وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك
يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمعون مما يجمع هؤلاء
من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم
من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته
وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك
في تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق
الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع
ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم
يشرعه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه
وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبفتحها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن
ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بالتخفيف كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج وهي
والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج
يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه ولبيوتهم ابوابا وسررا وقرئ سررا بفتح الراء
لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا
والآخرة عند ربك للمتقين لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ
بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة الدنيا كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية
وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر
قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر
ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة

وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبرت حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم

في العذاب مشتركون انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء اعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فان قلت ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ما في قوله فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون وان اردنا ان نعجل في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقرئ بالذي اوحى اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى سواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرنا الى اليوم الآخر فكن متمسكا بما اوحينا اليك فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل

ظهور ولم يغلط تأخيره وإنه وإن الذي أوحي إليك لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون
ولسوف تسألون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم
به من بين العالمين واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل
جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز
المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية
في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه
مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس
أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم
جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه
سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التورية والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل
فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين
ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم
إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها
سحرا وإذا للمفاجأة فإن قلت كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة قلت لأن فعل
المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم وما نريهم
من آية إلا هي أكبر من أختها فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت
عليها في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان
المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل
رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قروتهم رجلا رجلا فإن قلت هو
كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة
ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه
وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء

الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا
بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل
ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
ولقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت
ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها وأخذناهم بالعذاب لعلهم
يرجعون إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان فإن قلت لو أراد رجوعهم لكان قلت
إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد
وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة
لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك وقالوا يا أيها
الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك قرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فإن قلت كيف
سموه بالساحر مع قولهم إننا لمهتدون قلت قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد
معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب
إذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم
الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك من أن
دعوتك مستجابة أو بعهده عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب
عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون
جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند
النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك
فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم فقال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار
تجري يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت
تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن يكون الواو
عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وأن يكون الواو للحال واسم الإشارة
مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية

بعده من تعظيم ملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر
وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغيرهم وكبيرهم وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار
وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان
على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال
أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها
فثنى عنانه أم أنا خير أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير
موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب
ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل
والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه
يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير
وقرئ أما أنا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات
الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت
الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد
الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب أو جاء معه
الملائكة مقترنين إما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف
نفسه بالملك والعز ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه ووصفه بالضعف وقلة الأعضاد
اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره
وقرئ أساور جمع أسورة وأساوير جمع إسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير
وقرئ ألقي عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فاستخف قومه فاستفزهم
وحملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين
فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين آسفونا منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه
ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي
وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين

وقرئ سلفا جمع سالف كخدم وخادم وسلفا بضمتين جمع سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع
سلفة أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل
عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به
ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على
قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن
الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم
فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت
أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن
نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله إن الذين سبقت
لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل
رسول الله بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج
فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم
ولجبهم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بضم الصاد فمن الصدود أي
من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما
لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما يشق ويحشد وقالوا آلهتنا خير أم هو يعنون أن آلهتنا عندك
ليست بخير من عيسى فإذا كان عيسى من حصب جهنم كان أمر آلهتنا هينا ما ضربوه أي ما ضربوا هذا المثل
لك إلا جدلا إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد
شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون ما أريد به إلا الأصنام
وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد الأنبياء والملائكة إلا أن
ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه
بأن المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله
على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أجاب عنه ربه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن

قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى
من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل
آلهتهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك إلا جدلا ما قالوا هذا القول
إلا آلهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود
خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أي جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد
بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون
يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية
به والاستهزاء ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول
ولا فعلنا نكرا من الفعل فإن النصارى جعلت المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلا
فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك
مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل إن هو وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد
أنعمنا عليه حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وجعلناه
مثلا لبني إسرائيل وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الصنع
وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الأرض يخلفون يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم
أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام
لا تتولد إلا من أجسام والذوات القديمة متعالية عن ذلك وإنه وإن عيسى عليه السلام لعلم للساعة
أي شرط من أشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة
وقرئ للعلم وقرئ أي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى
صلوات الله عليه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين
وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر
الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن وأن القرآن به تعلم الساعة
لأن فيه الإعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهو الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل

هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله هذا أي هذا الذي أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير
في إنه للقرآن صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين قد أبانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم
من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات
الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة يعني الإنجيل والشرائع ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فإن
قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق
بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما
يعنيهم من أمر دينهم فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف
الأحزاب الأحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى من بينهم فويل للذين ظلموا
من عذاب يوم أليم وعيد للأحزاب فإن قلت من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه قلت إلى الذين
خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم هل ينظرون إلا الساعة أن
تأتيهم بغتة أن تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة فإن قلت أما أدى
قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لأن معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون
لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون الأخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يومئذ منصوب بعدو أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين
في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة
قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل إلا المتقين إلا المجتنبين أخلاء السوء
وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون
حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لأنه
منادى مضاف أي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا
وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين
آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون تسرون سرورا
يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون إكراما
يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس

ولذ الأعين وأنتم فيها خالدون الكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه
وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في القلوب وإما مستلذة في العيون وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة
وهي مبتدأ والجنة خبره والتي أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة
والتي أورثتموها خبر المبتدأ أو التي أورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف
التي تقع أخبارا وفي الوجه الأول يتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة
وقرئ ورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون من للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية
في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها إن المجرمين في عذاب جهنم لا يفتر عنهم لا يخفف
ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها وهم فيه مبلسون المبلس اليائس
الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا
لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ
وهم فيها أي في النار ونادوا يا مالك وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم
كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما
أشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم
فيه وقرأ أبو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا ربك من قضى عليه إذا أماته فوكزه
موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا فإن قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالإبلاس
قلت تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس
عليهم وعلمهم أنه لا فرج لهم ويغوثون أوقاتا لشدة ما بهم قال إنكم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد
خالدون عن ابن عباس إنما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع
حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم
بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب أن يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن
يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك ولكن أكثركم للحق كارهون لا تقبلونه وتنفرون عنه وتشمئزون منه
لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب أم أبرموا أم أبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله

فإنا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم يحسبون أنا لا نسمع
سرهم ونجواهم كانوا يتناجون في أنديتهم ويتشاورون في أمر رسول الله فإن قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت
السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعها ونطلع عليها
ورسلنا لديهم يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه
وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء في السماوات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق
قل إن كان للرحمن ولد إن كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة
تدلون بها فأنا أول العابدين فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم
الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي
الولد والإطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم
في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها
فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي
للمجبر إن كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان
وليس بإله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك
وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة
الذاهب إليه والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز
من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا
تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب
الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن
ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن
ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد
وقرأ بعضهم عبدين وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد
وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه
قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من

اصل كلمة ان لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو سبحان رب السماوات والارض رب العرش عما يصفون
تنزيه ذاته الموصوفة بربوبية السماوات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل انه من صفة
الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض في اللعب واعلام
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ذهب في دعوتهم كل
صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في
السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت
هو جواد في طي في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى
وهو الله في السماوات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف
لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان يكون
في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل
الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض وتبارك الذي له
ملك السماوات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون قرئ بفتح التاء وضمها ويرجعون
بالياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما
زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولكن من شهد بالحق ومن توحيد الله
وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز
ان يكون متصلا لان جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء
وتشديد الدال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب قيله قرئ بالحركات
الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم وقيله وعنه
وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة
والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجر عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم
علم الساعة وعلم قيله والذي قاله ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه

مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف
القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله
يا رب او قيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم
منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في قيله لرسوله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه
والتجائه اليه عن النبي صلى الله تعالى من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

تتلوه سورة الدخان

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي سبع وخمسون وقيل تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم
امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من
ربك انه هو السميع العليم

الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف
وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة
المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة
الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك
ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه
الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفرق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب
النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة
قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال
صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين
او مصر على الزنى وما اعطي فيها من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي
الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد
البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد
بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معنى
انزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وامر
السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل ينزله على رسول الله عليه السلام نجوما نجوما فان قلت
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان
فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا
الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور
الحكيمة وهذه الليلة يفرق كل امر حكيم والمباركة كثيرة الخير لما ينزل الله فيها من الامور التي تتعلق
بها منافع العباد ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل
ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امرهم فيها الى الاخرى القابلة وقيل يبدا في
استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق

الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسماعيل
صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات
اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق على بنائه للفاعل ونصب كل
والفارق هو الله تعالى وقرأ زيد بن علي نفرق وكل امر حكيم كل شأن ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة
وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا
نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال
اعني بهذا الامر حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به
الامر الذي ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر
والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من
احد الضميرين في انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين
رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعول له
على معنى انا انزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم
وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة
بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر
او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق
وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته تعالى لان الغرض في تكليف العباد
تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان
الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي امر من عندنا على هو امر
وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك الرحمة وهي تنصر
انتصابها بانه مفعول له وانه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق
الا لمن هذه اوصافه وقرئ رب السموات وربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك فان قلت
ما معنى الشرط الذي هو قوله ان كنتم موقنين قلت كانوا يقرون بان للسموات والارض
ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب من الرب ثم قيل لهم ان هذا الرب
هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان
كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا

قوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين

واشتهروا بسخائه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في
شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء
ولعب يوم تأتي السماء مفعول به فارتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان
فعن علي وبه اخذ الحسن انه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى
يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها
كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج
من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله الآية
يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر
فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر
والبطشة واللزوم ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان يأتي
يوم القيمة فيأخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم
الرجل ان يقول لشيء الله اعلم ثم قال الا وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى
اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع
كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان
دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك
احد في انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للدخان وهذا عذاب الى قوله
مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون
موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه
من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر
على رسول الله من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان
عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا
انكم عائدون اي ريثما يكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه
من التضرع والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل القيمة قوله انا كاشفوا العذاب
قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا

مفعول به

بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون

كشف الدخان

يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم ان ادوا الي عباد الله
اني لكم رسول امين وان لا تعلوا
على الله اني آتيكم بسلطان مبين
واني عذت بربي وربكم ان ترجمون
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا
ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فاسر
بعبادي ليلا انكم متبعون واترك
البحر رهوا انهم جند مغرقون

ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما ثم لما يكشف عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرا الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الاثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله بسلطان مبين بحجة واضحة ان ترجمون ان تقتلون وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منه ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوا الي كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ان هؤلاء بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك قيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء يعني فاسر بعبادي اسرائيل فقد دبر ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين رهوا فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اي مشيا ساكنا على هينة اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما كان

كما ضربه فانفلق فامر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ بالفتح بمعنى لانهم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم و اورثناها او في موضع الرفع على الامر كذلك قوما اخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله عليه السلام ما من مؤمن مات في غربة غابت فيه بواكيه الا بكت عليه السماء والارض قال جرير تبكي عليه نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن واثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر او لم يمهلوا الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم

كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك
واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا
بني اسرائيل من العذاب المهين من
فرعون انه كان عاليا من المسرفين
ولقد اخترناهم على علم على العالمين

اجتبيناهم اختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منّا انهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا حيوتنا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوا واثبتوا الاولى قلت معناه والله اعلم الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة تعقبتها حيوة وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى فلا فرق بين خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعو الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحيّر الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبّى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسى البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وبين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن اي مولى كان شيئا اي قليلا منه وهم لا ينصرون

وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ۝ ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين ۝ فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ۝ اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين ۝ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ۝ ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ۝ ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ۝

الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينتصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه وقرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداءه لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب على طريق الاستعارة كقوله صبت عليهم صروف الدهر من صبب وكقوله افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله عليه السلام ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرأ به على المنبر هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون وتتمارون وتتلاحون قرئ في مقام

يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ۝ الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ۝ ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ۝ كالمهل يغلي في البطون ۝ كغلي الحميم ۝ خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ۝ ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ۝ ذق انك انت العزيز الكريم ۝ ان هذا ما كنتم به تمترون

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ • فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ • يَدْعُونَ فِيهَا
بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ • لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ •
فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ •
فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ •
فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ •

شملهم

بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم هو
موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو صفة الخاين فوصف به المكان
المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق
ما غلظ وهو تعريب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب
خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف والتغيير عن منهاجه واجرائه
على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوب على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم
وقرا عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان يكون حورا او
غير حور فهولاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء
تعلوها حمرة وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرا عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت
فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت
اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة
الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم
ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقرى ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك
وثوابا يعني كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرى فضل من ربك اي ذلك
فضل فانما يسرناه بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك ويتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل
بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله من قرا حم الدخان في ليلة اصبح
يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرا حم التي يذكر فيها الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون آية وقيل ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلتها اسما مبتدا مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم
تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف
خبرا ان في خلق السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم
فان قلت علام عطف وما يبث اعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان
المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك
ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد قرى آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك

فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك

بسم الله الرحمن الرحيم
حم • تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ •
إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ •

على ذلك ان زيدا في الدار وعمروا في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على
عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت
الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع
في آيات والجر في واختلاف وقرا ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين
على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود
والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها او على التكرير
ورفعها باضمار هي وقرى واختلاف الليل والنهار وقرى آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرى
وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها
مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال
وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس
فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة
الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص
يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله
ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي
شيخا وقرى يتلوها بالياء بعد الله وآياته اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني
كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن الحديث وقرى يؤمنون
بالياء والتاء الافاك الكذاب الاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من
اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما ينطق
به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من احاديث
الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت
ما معنى قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القايل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات
الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر
مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع
وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ •
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ •
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ • وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ
يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ
لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا
شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ •
مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ •

علمهم

هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب
من رجز اليم ۝ الله الذي سخر لكم البحر لتجري
الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ۝ وسخر لكم ما في السموات وما
في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون ۝ قل للذين آمنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما
بما كانوا يكسبون ۝ من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ۝

على الضلالة عتوا واستكبارا عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في
قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اى يصر مثل غير السامع واذا بلغه شئ
من اياتنا وعلم انه منها اتخذها اى اتخذ الايات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشئ من الكلام
انه من جملة الايات التى انزلها الله على محمد خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه
ويحتمل واذا علم من اياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه
واتخذ ايات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم ومغالطته رسول الله وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شئ لانه في معنى الاية كقول ابي
العتاهية ۝ نفسي بشئ من الدنيا معلقة ۝ الله والقائم المهدي يكفيها ۝ حيث اراد عتبة وقرئ علم
اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او
قدام قال اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله من ورائهم
اى من قدامهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا
اشارة الى القران يدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم هي القران اى هذا القران
كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم
ورفعه ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك
من منافع البحر فان قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة
موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها
بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون
وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدا قوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض
مبتدا ومنه خبره وقرا ابن عباس منة وقرا سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي
او على انه خبر مبتدا محذوف اى ذلك او هو منه حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائهم من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يامون
الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها
وقيل نزلت في عمر فقرا قارئ هذه الاية فقال عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزي تعليل الامر بالمغفرة اى انما
امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وله
اراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين
لصبرهم

ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم و
النبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
على العالمين ۝ وآتيناهم بينات من الامر
فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون ۝ ثم جعلناك على شريعة من
الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ۝
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين ۝
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ۝
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون ۝ وخلق الله السماوات
والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون ۝

بصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون
من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله
وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزي
قوما اى الله وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما الكتاب التورية والحكم الحكمة والفقه وفصل
الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق
وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر
الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا
لبغي حدث بينهم اى لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك
الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء
قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون
فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم
الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من
العذاب لمن آمن وايقن وقرئ هذه بصائر اى هذه الآيات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار لحسبان
والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اى كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل
المتعدي الى مفعولين اولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة
تقع مفعولا ثانيا وكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول
ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرا سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على
الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق
النجم اى سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا
لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات
هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى
هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم
في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين
ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري انه كان يصلي
ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن فضيل انه بلغها

أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله
على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون
وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم
ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم
ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات
والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر
المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى
الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق

فجعل يردد ويبكي ويقول يا ليت شعري من اي الفريقين انت وليجزى معطوف على الحق لان فيه معنى التعليل او متعلق بمحذوف وتقديره فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا واضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشوة بالحركات الثلث وغشوة بالفتح والكسر وقرئ تذكرون نموت ونحيى نموت نحن ونحيى اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او يكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيى بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح باذن الله تعالى وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وهو اهون شيء عليه عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله تعالى قلت الاضافة للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا

انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم الم تكن اياتي تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه والساعة بالنصب عطف على الوعد وبالرفع عطف على محل ان واسمها ما الساعة اي شيء الساعة فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدته لقاء يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم هذا ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزاءه وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آيات كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل خمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا واهوال ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله تعالى الا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ على اثرة اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء واما الاثرة بالكسر بمعنى الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل

انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته
ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا
افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم
قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق
والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة
ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم
سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم
هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم
اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب
العالمين وله الكبرياء في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى
والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارأيتم
ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من
الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب
من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين

وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا
يَسْتَجِيبُ لَهُ اِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ
غَافِلُونَ ۝ وَاِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ اَعْدَاءً
وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝ وَاِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ
اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ
قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا
هُوَ اَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفٰى بِهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝

كل بغيته ومرامه ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا
والى ان تقوم القيمة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين
الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من
وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز
جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب
غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة و
الغفلة طريقة التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات
واللام في للحق مثلها في قوله للذين امنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين امنوا والمراد بالحق
الايات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق
لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم
وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر
تسميتهم الايات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام للانكار والتعجيب كانه قيل
دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه
على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة
كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الايات
فلان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا
تطيقون على دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا
يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال هو اعلم
بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية
اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم
والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا
وامنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فان قلت ما معنى الاسناد اليهم في قوله فلا تملكون لي
قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم
ان افتريته وانا اريد بذلك النصيحة لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان

ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي
ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الايات ويسألونه عما لم
يوح اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فاتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه
من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما اتاهم الله من اياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب
موسى عن قول فرعون فما بال القرون الاولى وقال علمها عند ربي وما ادري لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي
وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الي وعن الحسن ما ادري
ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى
المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة او اومر بالخروج الى ارض قد رفعت
لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة وقال هي منسوخة بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء
اي يفعل الله عز وجل فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت اجل ولكن النفي في وما ادري
لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخل الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما
في ما يفعل بي يجوز ان يكون موصولة منصوبة وان يكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحي اي الله تعالى
جواب الشرط محذوف وتقديره ان كان القران من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف
قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله عليه السلام
نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب فتامله فتحقق انه النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلث
لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه
فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة
فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا
ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت
اليهود فقال لهم النبي عليه السلام اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا
وابن اعلمنا فقال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت
اخاف يا رسول الله واحذر فقال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله يقول لاحد يمشي على الارض انه

قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا اَدْرِي مَا يُفْعَلُ
بِي وَلَا بِكُمْ اِنْ اَتَّبِعُ اِلَّا مَا يُوحٰى اِلَيَّ وَمَا اَنَا اِلَّا
نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ
بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ عَلٰى مِثْلِهِ فَاٰمَنَ
وَاسْتَكْبَرْتُمْ اِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ اٰمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا
سَبَقُونَا اِلَيْهِ وَاِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ
هٰذَا اِفْكٌ قَدِيمٌ ۝

من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقران اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القران من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت لم نتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القران من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه مع استكباركم عنه وعن الايمان الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فامن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك للذين امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت وكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو محمد اليه حقا ما سبقنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله ابن سلام واصحابه فان قلت لا بد من عامل في الظرف في قوله واذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه صح باضماره ان قوله حتى يقول الرسول المعاد نه حتى مجرورا والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقوله اساطير الاولين كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على اتينا الذين قبله التورية ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم

ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين

كما يؤتم بالامام ورحمة لمن امن به وعمل بما فيه وهذا القران كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له وقرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة امدا من قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله تعالى وقرئ بالنون فان قلت ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر والذي قال لوالديه مبتدا خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال جنس القائلين ذلك القول

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ۝ ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين ۝ اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ۝

أتعدا

والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن
أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما
يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله
حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين ○
أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد
خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم
كانوا خاسرين ○ ولكل درجات مما عملوا
وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ○

المكذب

ولذلك وقع الخبر مجموعاً وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد
سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبو بكر وأمه أم
رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما
يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب
النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى
مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس
هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت
أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ أف بالفتح والكسر بغير تنوين
وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام
للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما وقرئ أتعداني بأحدهما وأتعداني بالإدغام
وقرأ بعضهم أتعدانني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحرياً للتخفيف
كما تحراه من أدغم ومن طرح أحدهما أن أخرج أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج وقد خلت القرون من
قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله
ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك في أمم نحو قوله في أصحاب الجنة
وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا أي منازل ومراتب
من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منهما فإن قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات
قلت يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله
محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل
الثواب درجات والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل أذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها
من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض
النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس
يجاء بهم فيكشف لهم عنها أذهبتم طيباتكم أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا وقد أصبتموه في دنياكم وقد
ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لدعوت بصلائق وصناب
وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله نعى على قوم أذهبوا طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه
لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكني أستبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على

ويوم يعرض الذين كفروا أذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون
عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض
بغير الحق وبما كنتم تفسقون ○ واذكر أخا عاد
إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من
بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ○ قالوا أجئتنا
لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن
كنت من الصادقين ○ قال إنما العلم عند الله
وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوماً
تجهلون ○ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم
قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب أليم ○ تدمر كل شيء بأمر ربها
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي
القوم المجرمين ○

على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو
أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما يستر
الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بألف
بين همزتين الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها الأحقاف جمع
حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد
يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر
جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده والمعنى أن هوداً عم أنذرهم
وقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في
زمانه ومعنى من خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه
ولك أن تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضاً بين أنذر قومه وبين أن لا تعبدوا
ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل
ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم لتأفكنا لتصرفنا يقال أفكه عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا
من معاجلة العذاب على الشرك إن كنت صادقاً في وعدك فإن قلت من أين طابق قوله إنما العلم عند الله
جواباً لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت من حيث إن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله
بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواباً إنما علم ذلك
عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به
وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف
عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا
سائلين غير ما أذن لهم فيه فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهماً قد وضح
أمره بقوله عارضاً إما تمييزاً أو حالاً وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق
السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل
وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفاً للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود والدليل عليه
قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله قل تدمر كل شيء تدمر دماراً
إذا هلك لا يرى حتى للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالتاء والياء وتأويل القراءة بالتاء وهي

٢ تهلك من نفوس عاد وأموالهم
الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية
وقرئ يدمر كل شيء مه

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم
سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم
ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا
يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤون ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى
وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل
ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون

على نحس لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع
أي المغلظة وليست بالقوية وقرئ لا ترى إلا مساكنهم ولا يرى إلا مساكنهم وروي أن الريح كانت
تحمل الفسطاط والضعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم
قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما عرفوا به أنهم رأوا ما كان من الصحراء من رجالهم
ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب
وصرعتهم فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشف الريح عنهم فاحتملتهم وطرحتهم في البحر
وروي أن هودا لما أحس خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود
ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن
بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني
أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء
وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا
عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح قلت الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها
مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وجل
يعضد ذلك ويقويه إن نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها
من التكرير المستبشع ومثله متجنب ألا ترى أن الأصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء
ولقد أغث أبو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل
فقال لعمرك إن ما بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش يرجي المرء
ما إن لا يراه ويعرض دون أدناه الخطوب ويؤول بإنا مكناهم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء
عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل
في الحث على الاعتبار من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا
يجحدون قلت بقوله فما أغنى فإن قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف
في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود
إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك ما حولكم يا أهل مكة من القرى من حجر
ثمود وقرى سدوم وغيرها والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون القربان ما تقرب به إلى الله
أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع

كشفت الـ

في مثل ما مكناكم و

وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما
حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم
منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل
من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى
الحق وإلى طريق مستقيم

إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه
لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن
نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم
إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ أفكهم والإفك والأفك كالحذر
والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفّكهم
على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب
وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك صرفنا إليك نفرا أملناهم إليك
وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث
أبي ذر لو كان ههنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله ويعضده
قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا مستمعين يقال
أنصت لكذا واستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا
ما هذا إلا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى
بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله عليه السلام وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة
الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به
سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا
مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه
نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد
الله بن مسعود قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي
خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله
هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني
عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك فإن قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء
أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى
فإن قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه
قوله أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فإن قلت هل للجن ثواب كما للإنس قلت

النفر دون العشرة
ويجمع أنفارا

أحوال الجن

اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة عن النار لقوله ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة والصحيح انهم في حكم بني آدم
لانهم مكلفون مثلهم وليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منهم مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله وانا ظننا
ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت
الباء لاشتمال النفي في اول الآية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل
اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره وقرئ يقدر يقال عييت
بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب
الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله
ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز ان يكون للتبعيض ويراد
باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده
واسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا
لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة فقال انها معبرة
فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت عليهم السلام ويجوز ان يكون للبيان فيكون
اولوا العزم صفة للرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر
وانهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به
كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى
التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك
ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم • ومن لا يجب داعي
الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء
اولئك في ضلال مبين • اولم يروا ان الله
الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء
قدير • ويوم يعرض الذين كفروا على النار
اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون • فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون •

سورة محمد عليه السلام مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلثون آية وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم •

وصدوا اعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل
كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا
وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وهو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها
وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها
يحفظها ويعتني بامره او جعلها ضالة في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى
وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم

عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم
مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هم عام وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله
من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشأنه وتعليما انه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة
الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره
وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر
بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم
وشأنهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتأييد ذلك مبتدا
وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب
اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب
فيكون الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان
وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع
الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم
فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين
او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين لقيتم من اللقاء وهو الحرب
فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول
وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب
الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم
كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل
الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا
في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه
من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه
واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله واضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم
كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل
والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به
منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر

والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل
على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم
واصلح بالهم • ذلك بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم
كذلك يضرب الله للناس امثالهم • فاذا لقيتم
الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق •

فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم

بين ان يمنوا عليهم ويطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت
اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد الامرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في المن
والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو
الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية
وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن
ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي
فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين القتل والاسترقاق والفداء
باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي
وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر مع فتح
الفاء اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى
واعددت للحرب اوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانها لما لم يكن لها بد من
جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعني
حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت
قلت لا تخلو من ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم تبق لهم
شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون
ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن
والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول المن والفداء
بما ذكرنا من التأويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب
الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو
المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين
بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرئ قتلوا
بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم على البناء
للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة نزلت في يوم احد عرفها لهم اعلمها لهم
وبينها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى

سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم

قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها
وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من
العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنفوح القماري وعرف كفتوح القماري او حددوها
لهم فجنة كل واحد محدودة مفرزة من غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود
ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب
او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء او النصب بما يفسره فتعسا لهم
كانه قيل اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل
الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم نقيض لعا لهم قال الاعشى
فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش و
الثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار ذلك بانهم
كرهوا القرآن وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال
واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ما اختص به من انفسهم
دمر ... اولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة المذكورة
او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا مولى
الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولي الذين آمنوا ويروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه
فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم
ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية
قلت لا تناقض بينهما لان الله تعالى مولى عباده جميعا على انه ربهم ومالك امرهم
واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة
الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام
في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام

وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار

وقرئ كائن بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم
قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا
سبب خروجك فان قلت كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت
مجراه مجرى الحال المحكية كقوله تعالى فهم لا يبصرون من زين له هم اهل مكة الذين زين
لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان على بينة
من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات وهو رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ
من ومعناه فان قلت ما معنى قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار
كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار
لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو
قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل امثل
الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت لم عري
من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها
زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه
بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين
النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل أفرح ان أرزأ الكرام
وان أورث ذودا شصائصا نبلا هذا كلام منكر للفرح برزاء الكرام
ووراثة الذود مع تعريه من حروف الانكار لانطوائه تحت قول من قال له
أتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة
ان يصور قبح ما ازن به فكأنه قال نعم مثلي يفرح بمرزاه الكرام وبان يستبدل
منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة
صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقو
وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك

وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز
ان يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها انهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان
يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه امثال الجنة اي
ما صفاتها كصفات النار من ماء غير آسن وقرئ اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير
طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معاوية لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فت على
ماء العناقيد وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا
حازرا ولا ما يكره من الطعوم وانهار من خمر لذة للشاربين لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ
او وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب
على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل
ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل
فيخالطه الشمع وغيره ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه
قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا
قال آنفا هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه
ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال
الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء
وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن سئل وقرئ أنفا
على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا
قال في اول وقت يقرب منا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين
اهتدوا زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي
بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول رسول الله او لاستهزاء المنافقين
فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها ان تأتيهم بدل اشتمال من الساعة
نحو ان تطأوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف على الساعة

واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك فإن قلت فما جزاء الشرط قلت
قوله فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ومعناه إن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم
إذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى
فإن قلت بم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين قلت بإتيان الساعة اتصال
العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه والأشراط العلامات قال
أبو الأسود . فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا . فقد جعلت أشراط أوله تبدو . وقيل مبعث
محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة
وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة
لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على
أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم أنه
لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين
قال إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم
بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم
متقلبكم ومثواكم والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون
من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار
ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن
فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر
بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة وقال واعلموا
أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله
خمسه وللرسول ثم أمر بالعمل بعد ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة كانوا يدعون الحرص على
الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد وإذا أنزلت وأمروا فيها
بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال إذا فريق
منهم يخشون الناس فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها

إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على
المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح
والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيمة وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها
النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فإذا
نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض
هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت أي
تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت فأولى لهم وعيد بمعنى
فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه طاعة و
قول معروف كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا
طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي يقولون طاعة
وقول معروف فإذا عزم الأمر أي جد والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر
إسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الأمور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص
على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم لكان خيرا لهم فهل عسيتم
إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما
بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين
وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في
التوبيخ فإن قلت ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض قلت معناه
هل يتوقع منكم الإفساد فإن قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان
وما يكون قلت معناه إنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم
ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم
عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا
على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته أن ترجعوا
إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة

بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي عليه توليتم اي ان تولاكم
ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطّعوا
من التقطيع والتقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم
لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة
وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم
يتشوقون الى الوحي اذا ابطا عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم
يضجرون منها افلا يتدبرون القرآن ويتصفحون وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد
العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل
عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكره عن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا
عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا فان قلت لم نكرت القلوب
واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم
امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه
يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر
ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم الشيطان
سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب
العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق
جميعا واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا
انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرئ
سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف فان قلت من هؤلاء
قلت اليهود الذين كفروا بمحمد عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة
وقيل هم المنافقون ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر القائلون
هم اليهود والذين كرهوا ما انزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير
لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله او بلا اله الا الله او ترك

القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول
الله والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تامرون به او في بعض ما
الامر يهمكم والله يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه
الله عليهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم
حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى التائين كقوله ان الذين
توفاهم الملائكة وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا يضرب من الملائكة في
وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من كتمان نعت
رسول الله وكرهوا رضوانه الايمان برسول الله فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله وللمؤمنين
واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لاريناكهم
فلعرفتهم بسيماهم لاريناكهم لعرفناكم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك
بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي بعد
هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في
بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى
جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فان قلت اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم
ولتعرفنهم قلت الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف
واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه
واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان
عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له
صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب
وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان
الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرا يعقوب ونبلو بسكون الواو

على صنعه ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا
قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله
شيئا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة
وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول
اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن
اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا
يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فظلوا يخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر
كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل
اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن
لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها
بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب
فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ان
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم
فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما
المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا
اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا
دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان
وقوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم اعمالكم لن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت

له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو
الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله
عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم
اموالكم اي لا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم
ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا
من الالحاح واحفى شاربه استأصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله وتضيق
صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل
اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء
والتاء مع فتحها وضم اضغانكم ها انتم هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين
تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا
فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل
على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم من يبخل
منكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فانما يبخل على نفسه والله
الغني وانتم الفقراء فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك
ضننت عليه وعنه ثم اخبر عنه انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته الله فهو الغني الذي
يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا
وتتقوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين
في الايمان والتقوى غير متولين عنها كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار
وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان
حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح
مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء
به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة
الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى ليغفر لك الله فان
قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من
الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل
يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز
ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة
او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل
هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس
رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سالوا الصلح فان قلت
كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها
وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا
فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال
بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالوكم القضية
ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية
آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه
فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماؤها
بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة
والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته
ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا

بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تاخر يريد جميع ما فرط منك وعن
مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد ويتم
نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة
المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمانينة
بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال
فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع
ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به
النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد
فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد
ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم ولله جنود السماوات
والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ولله جنود السماوات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن
قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف
المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين
لما غاظهم من ذلك وكرهوه الظانين بالله ظن السوء وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده
والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط
الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم
الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين
فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالضم اي الدائرة التي
يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من
فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح

عليه بأن يضاف اليه بأن يراد ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير
يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إليه لكونه مذموما وكانت الدائرة
محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن
الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليها اسم السوء كقوله عز وجل إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم
رحمة وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السماوات والأرض
وكان الله عزيزا حكيما إنا أرسلناك شاهدا تشهد على أمتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه
وتسبحوه من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله
ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقرئ ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه بالياء والخطاب لرسول
الله ولأمته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه
بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة وأصيلا عن ابن عباس صلاة
الفجر وصلاة الظهر والعصر إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله لما قال إنما يبايعون الله أكده
تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبا
يعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق
مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد
بيعة الرضوان فمن نكث فإنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه قال جابر بن
عبد الله بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة
إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ إنما
يبايعون لله أي لأجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها ومن أوفى بما
عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما قرئ بما عاهد وعهد وفسيؤتيه بالنون والياء
يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله أوفوا بالعقود والموفون
بعهدهم سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا هم الذين
خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أنه صلى الله عليه وسلم

حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي
ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله
عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا نذهب إلى
قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب
إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم وقرئ شغلتنا
بالتشديد يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس بما
يقولون وإنما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم للاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة
قل فمن يملك لكم من الله فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه إن أراد بكم ضرا ما يضركم من قتل
أو هزيمة أو أراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم بل كان الله بما تعملون خبيرا
بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم الأهلون جمع أهل
ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كأرض وأرضات وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم
جمع كليال وقرئ إلى أهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما
جاء في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم زينا لهم أعمالهم وظننتم ظن السوء وكنتم
قوما بورا البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم
ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين مقام مقام لهم للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين
الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لأنها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك
السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب
بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما
ورحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول
المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية إذا انطلقتم إلى مغانم إلى غنائم خيبر لتأخذوها ذرونا
نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه

وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى
لن تخرجوا معي أبدا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا أن نصيب
معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون إلا قليلا وهو فطنتهم
لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فإن قلت ما الفرق
بين حرفي الإضراب قلت الأول إضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات
الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل
وقلة الفقه قل للمخلفين من الأعراب هم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون إلى قوم أولي
بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر
الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف
عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي
لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على إمامة أبي
بكر رضي الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف
يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل
هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم إعطاء
الجزية فإن قلت عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله عليه السلام
قلت إن صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب
في الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم
فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية يعذبكم
عذابا أليما أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث
لهما وفي قراءة أبي أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض
حرج نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما وقرئ ندخله ونعذبه لقد رضي الله
عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلعم

حين نزل بالحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع
دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة عدوي يمنعني
ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما
جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت
لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول
الله لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال
جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل
الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدي
غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة
وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الإخلاص وصدق
الضمائر فيما بايعوا عليه فأنزل السكينة عليهم أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم وأثابهم
فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا
بثمرها زمانا ومغانم كثيرة يأخذونها هي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها
عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق وكان الله عزيزا
حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة فعجل لكم هذه المغانم
يعني مغانم خيبر وكف أيدي الناس عنكم يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان
حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح ولتكون
هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها أنهم من الله بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح
عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى
السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة
ويقينا وثقة بفضل الله وأخرى معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى لم تقدروا
عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد أحاط

الله بها اى قدر عليها واستولى واظفركم عليها وغنمكموها وكان الله على كل شيء قديرا ويجوز في اخرى
النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء
لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتداء والجر باضمار رب فان قلت قوله ولتكون
آية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل
ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية
للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم
بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر لولوا
الادبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل سنة الله
في موضع المصدر المؤكد اى سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة
الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله
بما تعملون بصيرا ايديهم ايدي اهل مكة اى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم
والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا
وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روى ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة
حتى ادخلوهم البيوت وقرئ يعملون بالتاء والياء هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام و
الهدي معكوفا ان يبلغ محله قرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى
الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم اى صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا
على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على
وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اى يجب وهذا دليل لابي حنيفة رحمه الله على
ان المحصر محل هديه الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما
نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا
ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم

لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وان تطؤوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم
فتصيبكم منهم معرة المعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق
بان تطؤوهم يعني ان تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال
ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آخر
وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم
مقرون في الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عالمين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه
ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب
فان قلت اى معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب الدية
والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا
جرى منهم بعض التقصير فان قلت قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت
لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من
المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اى في توفيقه لزيادة الخير
والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز
بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ يجوز ان يعمل
فيه ما قبله اى لعذبناهم او صددناهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما المراد بحمية الذين كفروا وسكينة
المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار وما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية
بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على
ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة
ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل
واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا

لو

لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون
أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله
الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هو أولى
بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها
إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب
عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون رأى رسول الله صلعم
قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على
أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم فقالوا إن رؤيا رسول الله حق فلما تأخر
ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا
رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله
عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فإن قلت بم تعلق بالحق قلت إما بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا
ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن
المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق
على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذي هو نقيض
الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الأول هو جواب قسم محذوف فإن
قلت فما وجه دخول إن شاء الله في إخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه أن يعلق
عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته
وأن يريد لتدخلن جميعا إن شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل
الملك إن شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله لأصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين
فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل فجعل من دون ذلك أي

من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بدين الإسلام ليظهره ليغلبه على الدين كله على
جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين وأهل الكتاب ولقد
حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند
نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفي
هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله سيفتح لهم من البلاد
ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على أن ما وعده
كائن وعن الحسن شهد على نفسه أنه سيظهر دينك محمد إما خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله
هو الذي أرسل رسوله وإما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنصب على المدح والذين معه أصحابه أشداء على الكفار رحماء بينهم جمع
شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف
رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم
ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه
وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله
وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده
وقد رخص أبو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد
وهذا التراحم فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا إخوانهم في الإسلام
متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق السجيحة ووجه
من قرأ أشداء رحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم
الخبر تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود سيماهم
علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث
في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من أثر السجود يفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود
وكان كل واحد من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس أبي الأملاك

يقال اذا دنا الثفنات لان كثرة السجود مما احدث في مواضعها منها اشباه ثفنات البعير
وقرئ من اثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه فان قلت
فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا
قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت ذلك
اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن
فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي
فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى احدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت
الارؤس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية
الله عز وجل وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى
الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله من كثر صلوته
بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل ذلك الوصف مثلهم اي صفتهم
العجيبة الشان في الكتابين جميعا ثم ابتدا فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله
ذلك مثلهم في التورية ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت
بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل
بفتح الهمزة اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه
بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا
فآزره من المؤازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد
اي فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم
ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر
فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام وترقيه في الزيادة
الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة
الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار فان قلت

قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في
الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا
عظيما لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم
البيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى
يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان
يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم وان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي
الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي
يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته
وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تائي تتقدموا الا ان
الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا
من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست
بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين
لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير
موضع وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا
ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه
من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا
امرا الا بعد ان يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله
وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز
ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة
على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك

المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته لأن من
أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه بهذا الاختصاص القوي كان أدنى ما يجب له من التهيب
والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم
بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة
فاعتزيا لهم إلى بني عامر لأنهم أعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا رسول الله فقال بئس
ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله ونزلت أي لا تعملوا شيئا
من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله وعن مسروق دخلت على عائشة في اليوم الذي
يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت إني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا
اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أن ناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله
أن يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله إلا أن تزول الشمس وعند الشافعي
يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله بالمدينة
أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو
المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك
منهم وأنزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها أنه إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله
لم يسبقوه بالجواب وأن لا يمشى بين يديه إلا لحاجة وأن يستأنى في الافتتاح بالطعام
واتقوا الله فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي
مراقبة الله تجنبه فإن التقي حذر لا يشافه أمرا إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك
في أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق
بك العار فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب
تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها إن الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون
وحق مثله أن يتقى ويراقب يا أيها الذين آمنوا إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد
الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا

ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي
المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك أن في إعظام صاحب الشرع إعظام
ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده
عنه وانتهاء إلى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أنه إذا نطق ونطقتم
فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه
غالبا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه
عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم
عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا في مخاطبته
القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين
بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا
له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر
رضي الله عنه يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضي الله عنه
أنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر إذا قدم
على رسول الله وفد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول
الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر
والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب
به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به
من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله وهو
ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو ما أشبه ذلك ففي الحديث أنه قال
عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس
أجهر الناس صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فأسقطت الحوامل
لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة • زجر أبي عروة السباع إذا • أشفق أن يختلطن بالغنم

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الأعلم الهذلي رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن انس ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت تفقده رسول الله فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون النهي اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها **ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون** ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فان قلت لخص الفرق بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب

النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فان قلت بأي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله آتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما تلفت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم** امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر اعداء من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار

بلبغ او بلا جهيد قال ابو عمرو كل شي جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت آطالها قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأ من ذلك المكان فان قلت اَفَرْقٌ بين الكلامين بين ما تثبت فيه من وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان تجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البرّ والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى الجهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن

حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم روي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجترؤوا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك

تشتاق

مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة
ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر
فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة
تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد
افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا
دون الانتهاء اليها فان قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه
اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضميرا على
الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ
الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان
لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلوة الفجر
اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان رضي الله عنه عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم
احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا
ومنعوا الزكوة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا
نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي
كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم
خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق
والنبإ شياع في الفساق والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا
بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق
لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت
الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه
ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد
والانسلاخ من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرا ابن مسعود فتثبتوا والتثبت

والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله والذين معه
بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة
قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق
في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة ان تصيبوا قوما بجهالة حال كقوله ورد الله
الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
الاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم
يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب
ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم
يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه واعلموا ان فيكم
رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر
النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما
مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم
تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب
فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في
الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم
اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق
وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون
ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب
اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا
من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين
هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله اي
اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت ما فائدة تقديم خبر ان على

ابهامات — القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع رأى رسول الله
لآرائهم فوجب تجريده لانصباب الغرض اليه فان قلت — فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم
قلت — للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عنّ لهم رأى
في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد
انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت — كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة
ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت — هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى
لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق
موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية
كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية
على ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قلت — فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل
الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت — الذي سوغ ذلك لهم انهم رأوا حسن الرواء
ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في
الذميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة الثقات
وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهي
الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال
والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول
والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر
والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعرف العاصي العاصب واعتصت
النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي
الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء
من صم الرشاد وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت — من اين جاز وقوعه
مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت — لما وقع

الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد
كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم
الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان
ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل
من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين
وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى
تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين عن
ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار
فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال
عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروى حماره افضل منك و
بول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء
قوماهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم
صلى الله عليه وسلم واصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة
والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس
والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان
ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها
فان قلت — ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن ابي عبلة او اقتتلا
كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين او النفرين قلت — هو مما حمل على المعنى
دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله
فان فاؤوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر
ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه الآية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية
كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا

تولت عمل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن ام عبد هل تدرى كيف حكم الله
فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب
هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي
منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة
فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة
دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة
واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به
من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان يكون احديهما الباغية
على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها
وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث
لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن
الحسن فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق
عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما
بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة
قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغاين وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات
ليس بحسن الطباق للامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط فان قلت فلم قرن بالاصلاح
الثاني العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال في اول الآية ان يقتتلا باغيتين
معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح
ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا
احتاج تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احديهما فان الضمان
متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما امر به
في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم
بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس

واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اى ازال
القسط وهو الجور **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** هذا تقرير
لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان
قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز
عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل
ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا
الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الا ان يصادف ما وهى من الوفاق
من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد
منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول
عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا
ولا يحفظ منكم الا قليل فان قلت فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع قلت لان
اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم
لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس
والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك
متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان
يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله
فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط
منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا
به رجاءكم **يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى
ان يكن خيرا منهن** القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون
على النساء وقال عليه الصلاة والسلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال
وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب
اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اى قياما واختصاص القوم بالرجال صريح

قوله على ان القوم جمع القيام

في رواية وفي قول زهير: أقوم آل حصن أم نساء. وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور
والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث
لأنهن توابع لرجالهن. وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات من بعض وأن تقصد إفادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن التسخر
وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم
وغير واحدة من نسائهم على التسخر واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر
لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار فيكون شريك الساخر
وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وإن
أوجده واحد إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما. وقوله عسى أن يكونوا
خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه
وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء. والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور
منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم
لهم بالخفيات وإنما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل
فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة
في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم
نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله. ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم
وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه
خشيت أن أصنع مثل الذي صنعه. وعن عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب
لخشيت أن أحول كلبا. وفي قراءة عبد الله: عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن. فعسى على هذه القراءة
هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الأولى التي لا خبر لها كقوله وعسى أن تكرهوا شيئا
ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب اللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم
والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم
ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذكروا الفاجر

بما فيه كي يحذره الناس. وعن الحسن في ذكر الحجاج: أخرج إلي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة
في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد. وقال لما مات: اللهم
أنت أمته فاقطع سنته فإنه أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته
الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول
له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة هيهات دون ذلك السيف والسوط. وقيل معناه لا يعب
بعضكم بعضا لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه
وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة
والتنابز بالألقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال
النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه
تقصيرا به وذما له وشينا فأما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به. روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم: من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه. ولهذا كانت التكنية من
السنة والأدب الحسن. قال عمر رضي الله عنه: أشيعوا الكنى فإنها منبهة. ولقد لقب أبو بكر بالعتيق
والصديق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله. وقل من المشاهير في الجاهلية
والإسلام من ليس له لقب ولم يزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم
تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير. وروي عن الضحاك أن قوما من بني تميم استهزؤا ببلال
وخباب وعمار وصهيب وأبي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت. وعن عائشة أنها كانت
تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة. وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت
حقويها بسبيبة وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر
خلفها كأنه لسان كلب. وعن أنس: عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر. وعن
عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيي أتت رسول الله فقالت إن النساء يعيرنني ويقلن
يا يهودية بنت يهوديين. فقال لها رسول الله: هلا قلت إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن
زوجي محمد صلوات الله عليهم. وروي أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون
له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله

أي يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال للرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد
أمّا كان يعيّر بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعد
أبدا بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون الاسم ههنا بمعنى الذكر
من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من
ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى إلى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين
بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الإيمان ثلاثة أوجه أحدها
استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة
الصبوة والثاني أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه
وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه والجملة على هذا التفسير
متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة
إلى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
يقال جنّبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله في جانب منه فيعدى إلى مفعولين قال الله تعالى
واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة
مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله إن بعض
الظن إثم فإن قلت بيّن الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت
مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين
لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار
للتقوى والحذر ولو عرّف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب
أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميّز
الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان
حراما واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست
منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب
والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به

ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت
وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه إن الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره
هتكه الله وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة
له والإثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال
والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي النوى بي فعلة أصاب النوى قبل الممات أثامها
والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه ولا تجسسوا وقرئ ولا تحسسوا بالحاء
والمعنيان متقاربان يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس
بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا
السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان الحواس بالحاء والجيم
والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد
خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق
في خدورهن وقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات
المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن
زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا
فقال ابن مسعود إنا قد نهينا عن التجسس فإن ظهر لنا شيء أخذنا به ولا يغتب بعضكم بعضا
غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء
في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان
فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتّه وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس
أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب
على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو
في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين
لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ومنها
أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل

منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ
وقرئ ميّتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقّب ذلك بقوله
فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية
عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن
في اعراض المسلمين وقرئ فكرّهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت هلا عدّي بالى
كما عدّي في قوله وكرّه اليكم الكفر وايهما القياس قلت القياس تعديته بنفسه لانه ذو
مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته
بالى فتاوّل واجراء لكرّه مجرى بغّض لان بغّض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه
كقولك حبّب اليه فهو حبيب اليه واتقوا الله ان الله تواب رحيم المبالغة في التواب للدلالة
على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه
بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزّل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى
واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم فانكم ان اتقيتم تقبّل الله توبتكم
وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة
ويسوّي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما
وكان اسامة على طعام رسول الله فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة
اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما ونزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي
بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا
وقبائل الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة
والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب تجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة
تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها

٢٥٤

لتعارفوا وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتعرفوا
والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا
يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدّعوا التفاوت والتفاضل
في الانساب ثم بيّن الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله
فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان
اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى
عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عُبّيّة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس
رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هيّن على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من
سرّه ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة
التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود
يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل
فكان رسول الله يراه عند كل صلوة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه
بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار
امر عظيم فنزلت ان الله عليم خبير قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم
الايمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج
من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم
ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب
اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه
نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت
افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع
من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما
ادّعوا اثباته موضعه ثم نبّه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك

هم الصادقون تعريضاً بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى
بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي
عن القول بالإيمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل
ولكن أسلمتم ليكون خارجاً مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم
لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فإن قلت قوله
ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
قلت ليس كذلك لأن فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة
قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على
أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الألت
وهي لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتاً وحكى الأصمعي عن أم هشام السلولية
أنها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الأصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم
ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئاً ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق
ويعقدوا قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم
مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس أن نفراً من بني أسد قدموا المدينة
في سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها
وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على
ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت إنما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه
في الشك مع التهمة والمعنى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه
واعترفوا بأن الحق معه فإن قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب
أن يكون مقارناً للإيمان لأنه وصف فيه لما يقتضيه من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة
التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه

الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم
يقينه أو نظر هو نظراً غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكباً رأسه لا يطلب له
مخرجاً فوصف المؤمنون حقاً بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني أن
الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيهاً على مكانه
وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعاراً باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضاً
جديداً وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يجوز أن يكون المجاهد منوياً وهو العدو المحارب
أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس
الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه
في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتحامل
فيها الرجل على ماله لوجه الله أولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا
كما كذب أعراب بني أسد وهم الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجد وثبات
قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم
يقال ما علمت بقدومك أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى أتعلمون الله بدينكم
وفيه تجهيل لهم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم
للإيمان إن كنتم صادقين يقال من عليه بيد إذا أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه
والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها إليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع
لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من
عليه صنعه إذا اعتده عليه منة وإنعاماً وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك
أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاماً ونفى أن يكون كما زعموا إيماناً فلما منوا على
رسول الله ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام إن هؤلاء يعتدون عليك
بما ليس جديراً بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام فقل لهم لا
تعتدوا علي إسلامكم أي حدثكم المسمى إسلاماً عندي لا إيماناً ثم قال بل الله يعتد عليكم أن
أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن

إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة
الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم وقرئ إن
هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود إذ هداكم إن الله يعلم غيب السموات والأرض
والله بصير بما تعملون وقرئ تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم
يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى
عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل
معلوم واحدة لا تختلف. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات
أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه. سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في ق والقرآن
المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما
في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا أن جاءهم
منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته
وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه
وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير
وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والأرض وما بينهما
وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء
ثم عول على أحد الإنكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا
دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار ووضع الكافرون موضع
الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع وإذا
منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا
قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى

المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف
قبله على هذا التفسير حسن وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع والدال
عليه ذلك رجع بعيد فإن قلت فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت
ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الأرض منهم رد لاستبعادهم
الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم
وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا
عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب
فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع
من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير
تفكر ولا تدبر فهم في أمر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه وخرج فيقولون تارة شاعر
وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية
واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار
بالبعث أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى آثار قدرة الله في خلق العالم إلى السماء فوقهم
كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها وما لها من فروج من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من
العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والأرض مددناها دحوناها
وألقينا فيها رواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت وأنبتنا فيها من كل زوج
من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لتبصر به وتذكر كل عبد
منيب راجع إلى ربه متفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها تبصرة ونزلنا
من السماء ماء مباركا كثير المنافع فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وحب الزرع الذي
من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات
طوالا إلى السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال السين صادا لأجل
القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه

من الثمر رزقا للعباد على أنبتناها رزقا لأن الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي
أنبتناها لرزقهم وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء
بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد
وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون و
ملئهم لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن
يراد جميعهم إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى كذب الرسل فحق وعيد
فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم أفعيينا بالخلق
الأول عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والمعنى أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول
حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف
بالقدرة على الإعادة بل هم في لبس من خلق جديد أي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان
وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان
تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر
على الإنشاء كان على الإعادة أقدر فإن قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف الخلق
الأول قلت قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حق من سمع
به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الإنسان ونعلم
ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر
ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به
ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان أي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لأنهم يقولون حدث
نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال وأكذب النفس إذا حدثتها ونحن أقرب إليه من حبل
الوريد أقرب إليه مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى
عليه شيء من خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الأمكنة وحبل
الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار قال ذو الرمة
والموت أدنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى إلى قوله كأن وريديه

والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه
وقيل سمي وريدا لأن الروح ترده فإن قلت ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد والشيء
لا يضاف إلى نفسه قلت فيه وجهان أحدهما أن تكون الإضافة للبيان كقولهم بعير
سانية والثاني أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق لاجتماعهما
في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد
إذ منصوب بأقرب وساغ ذلك لأن المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى
أنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس وما لا شيء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان
من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني
عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وإنما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي
ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع
علمه بإحاطة الله بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما
تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني
ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه إذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي
التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل
يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يوزر به ويدل عليه
قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب
الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وقيل إن الملائكة
يجتنبون الإنسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر إنكارهم
البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب

عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان تكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر ما كنت منه تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى المصدر الذي هو نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال له لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطى به جسدك كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان

الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف القيا خطاب من الله للملكين السائقين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف في جهنم كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخطي للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدا مضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت لانها استؤنفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول هنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له

ما أطغيته ما جعلته طاغيا وما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على
الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي
وقد قدمت إليكم بالوعيد استئناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله
فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم
ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة
علي ثم قال ما يبدل القول لدي لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم عما أوعدتكم به
وما أنا بظلام للعبيد فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة
مثلها في ولا تلقوا بأيديكم أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز أن يقع الفعل
على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أي قدمت إليكم
هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته إليكم موعدا لكم به فإن قلت إن قوله وقد قدمت
واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في
زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد
وصحة ذلك عندهم في الآخرة فإن قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه
وجهان أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وأن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب
لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرئ
نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال
وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ
في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك إلى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال
جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان
أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها
لقوله لأملأن جهنم والثاني أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز
أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا
للزيادة غيظا على العصاة والمزيد إما مصدر كالمحيد والمميد وإما اسم مفعول كالمبيع وأزلفت

الجنة للمتقين غير بعيد نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لأنه على
زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف
أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل قرئ هذا ما يوعدون
بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية لكل أواب حفيظ بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين
استضعفوا لمن آمن منهم وهذا إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت والأواب الرجاع
إلى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده من خشي الرحمن بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون
بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لأن من لا يوصف
به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها
بسلام لأن من في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن إلي وحذف
حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول أي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا إلا بطريق
الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب
أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه أحد فإن قلت
كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته
مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشي منه غائب ونحوه والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب وصف القلب بالإنابة
وهي الرجوع إلى الله لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام أي سالمين
من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته ذلك يوم الخلود أي يوم تقدير
الخلود كقوله فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد هو ما لم
يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤوه وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور
فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا
فنقبوا في البلاد هل من محيص وقرئ فنقبوا بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب
التنقير عن الأمر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا
في الأرض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أي شدة بطشهم أبطرتهم

وأقدرهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في
بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ
فنقبوا على الأمر كقوله فسيحوا في الأرض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب
خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت أخفاف إبلهم أو حفيت أقدامهم
ونقبت كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله أو من الموت
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له أو ألقى
السمع إلقاء السمع الإصغاء وهو شهيد أي حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب
وقد ملح الإمام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بصقلاب
في تلقين الزوع أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي من الله أو وهو بعض الشهداء في
قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته
عنده وقرأ السدي وجماعة ألقي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقي غيره السمع وفتح له أذنه
فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو السمع منه ولقد خلقنا
السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب اللغوب الإعياء وقرئ بالفتح
بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيباً لقولهم خلق الله السموات والأرض
في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
وقالوا إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ فاصبر على ما يقولون
على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم
البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة بآية
السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامداً ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة
قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان وقيل التهجد وأدبار
السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات
وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل

أن يتكلم كتبت صلاته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والأدبار جمع دبر وقرئ
وإدبار من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم
آتيك خفوق النجم واستمع يوم ينادي المنادي يعني واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك
تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام
لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك فإن قلت بم انتصب اليوم قلت
بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم
ينادي والمنادي إسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل
ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض من السماء
باثني عشر ميلاً وهي وسط الأرض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل
شعرة أيتها العظام البالية يوم يسمعون الصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد
به البعث والحشر للجزاء ذلك يوم الخروج إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض
عنهم قرئ تشقق وتشقق بإدغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعاً
حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك
الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم
إلا كنفس واحدة نحن أعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله وما أنت عليهم بجبار
كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الإيمان إنما أنت داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة
عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان
وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم إذا كان واليهم ومالك أمرهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
كقوله إنما أنت منذر من يخشاها لأنه لا ينفع إلا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة والذاريات
مكية وهي ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم
والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات أمراً الذاريات

الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال
والحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر
او على ايقاعه موقع حملا والجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي سهولة
المقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم
مامورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك
الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي عليه السلام انه قال وهو على المنبر سلوني
قبل ان لا تسالوني ولن تسالوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح
قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا
قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد
وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه
وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء
على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب التي
تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات
البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ في الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل
السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية
والموعود البعث لصادق وعد صادق كعيشة راضية وان الدين لواقع الدين الجزاء
والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك
حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق
لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن
الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها
واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو
جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن
السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل

جمع برقة وهي ارض
حجارة ه

انكم لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير
الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم
مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه من افك يؤفك عنه الضمير للقرآن او الرسول اي يصرف
عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف
عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير
لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم
في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو
المافوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب
اي ينهاهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك
يصدر افكهم عن القول المختلف وقرا سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي
من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والراي ليسال
عن رسول الله فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يافك عنه من افك اي يصرف
الناس عنه من هو مافوك في نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو
افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلبا
قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك
ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول
المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي
قتل الله الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون فيقولون ايان
يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا
لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين يوم هم
على النار يفتنون فان قلت بم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل
عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن
وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي

اي هم على النار وهم مبتدا
على النار يفتنون خبره
ه

هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن ابى عبلة بالرفع يفتنون يحرقون
ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لأن حجارتها كأنها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال أي
مقولا لهم هذا القول هذا مبتدأ والذي خبره أي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز
أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب إن المتقين في جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيما آتاهم إلا وهو
متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لأن جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات
أي يقبلها ويرضاها إنهم كانوا قبل ذلك محسنين قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم ما بعده
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل
إن جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز
أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه
بقليل على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت
البيضة رأسي فما أطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لأن الليل وقت السبات
والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وبالأسحار هم يستغفرون وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين
فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم وقولهم يستغفرون فيه
أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم
له وإطنابهم فيه فإن قلت هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى
أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت لا لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها
فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت وفي أموالهم حق للسائل والمحروم السائل
الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد
ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الأرض
آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال
الذي جعل لكم الأرض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة

من سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة
وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم
والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها
ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة و
الدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال من الوحشي
والإنسي والهوام وغير ذلك للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل
إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا
إيقانا مع إيقانهم وإيمانا إلى إيمانهم وفي أنفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال
وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك با
لقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني وبالألسن والنطق ومخارج
الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على
حكمة المدبر دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى
في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى
أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وفي السماء رزقكم هو المطر لأنه سبب الأقوات وعن سعيد بن
جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه
والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش
أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء فورب
السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أي حق مثل نطقكم
وبالنصب على إنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة
بنص الخليل وهذا كقول الناس إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا وهذا
الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ما توعدون
وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له فقال ممن الرجل قلت من بني
أصمع فقال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات

فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل
وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف
فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر
فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان
الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها
ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله وانما
عرفه بالوحي حديث ضيف ابرهيم المكرمين الضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم
لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل
ثلثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم
ابرهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم امراته
وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا عليه
نصب بالمكرمين ان فسر باكرام ابرهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر
فقالوا سلاما قال سلام سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم
سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة
على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه
لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون
انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم
كما قالوا ابصر العرب قوما من الخزر او راى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان
هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية
من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف
حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فجاء بعجل سمين
فقربه اليهم قال الا تأكلون الهمزة للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس فاضمر

منهم خيفة وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام
يدرج حتى لحق بامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي
والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امراة
ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل فاقبلت امراته في صرة في صيحة من صر الجندب
وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها
وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت
في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها آوه وقيل يا ويلتى وعن عكرمة رنتها فصكت
وجهها فلطمت بسط يديها وقيل ضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز
اي انا عجوز عقيم فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك انه هو الحكيم العليم
اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين روي ان جبريل قال لها انظري الى
سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة فلما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا با
الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم ايها المرسلون قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل وهو طين يطبخ
كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على
كل واحد منها اسم من يهلك وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها
ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم
في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين الضمير فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام
واحد وانهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر
وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله
وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية
قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وفي موسى معطوف على وفي الارض

آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنًا وماءً باردًا
إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه فازور وأعرض كقوله ونأى بجانبه
وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر أي
هو ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم آتٍ بما يلام عليه من الكفر
والعناد والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه فإن قلت كيف وصف نبي الله يونس
صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات
اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها
وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة
يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم
التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه
النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته
كالرميم الرميم كل ما رم أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك وفي ثمود إذ قيل لهم
تمتعوا حتى حين تفسير قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام فعتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن امتثاله
فأخذتهم الصاعقة وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة
نفسها وهم ينظرون كانت نهارًا يعاينونها وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون
إليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم
به إذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قومًا فاسقين
وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا
قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح والسماء بنيناها بأيد بقوة والأيد والآد
القوة وقد آد يئيد وهو أيّد وإنا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع
القوي على الإنفاق وعن الحسن الموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الأرض سعة
والأرض فرشناها فنعم الماهدون فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء أي من كل شيء من الحيوان
خلقنا زوجين ذكرًا وأنثى وعن الحسن السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر

والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون
أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا
الخالق وتعبدوه ففروا إلى الله الطاعة وثوابه من معصيته وعقابه إني لكم منه نذير مبين
ولا تجعلوا مع الله إلهًا آخر وحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله إني لكم منه نذير مبين عطفًا للأمر
بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا
مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما ألا ترى إلى قوله لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا والمعنى قل يا محمد ففروا إلى الله كذلك الأمر مثل
ذلك وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرًا ومجنونًا ثم فسر ما أجمل بقوله
ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة
بأتى لأن ما النافية لا تعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحًا على معنى مثل ذلك
الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا أتواصوا به الضمير للقول يعني أتواصى الأولون و
الآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعًا متفقين عليه بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا
به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو
الحامل عليه فتول عنهم فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت
منهم العناد واللجاج فما أنت بملوم فلا لوم عليك في إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك
في البلاغ والدعوة وذكر ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله فإن الذكرى تنفع المؤمنين
أي تؤثر في الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون في الإيمان أو تزيد الداخلين فيه إيمانًا
وروي أنه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن
الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
إلا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها فإن قلت لو كان مريدًا للعبادة
منهم لكانوا كلهم عبادًا قلت إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها
لأنه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدًا لها ولو أرادها على القسر والإلجاء
لوجدت من جميعهم ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون يريد أن شأني مع عبادي ليس

كشأن السادة مع عبيدهم فانّ ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم و
ارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفيء ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلّم في حرفة
لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال
والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملك العبيد وقال
لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني
عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر
صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ
الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اني انا الرازق
فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون الذنوب الدلو العظيمة وهذا
تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال
لنا ذنوب ولكم ذنوب ۞ فان ابيتم فلنا القليب ۞ ولما قال عمرو بن شأس ۞ وفي كل
حي قد خبطت بنعمة ۞ فحق لشأس من نداك ذنوب ۞ قال الملك نعم واذنبة والمعنى
فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل
نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم
فويل للذين كفروا من يومهم من يوم القيمة وقيل من يوم بدر الذي يوعدون عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت
وجرت في الدنيا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه في اواخر شهر رمضان
سنة اثنين وثمانين وسبعمائة

ولجميع المسلمين برحمتك
يا ارحم الراحمين

من الكتب التي وقفها ... محمد ... عفي عنه

ومن سورة البلد لا اقسم الصلة زائدة واقسم فعل مضارع واقسم معناه احلف كما قال واقسموا بالله
جهد ايمانهم يقال اقسم يقسم اقساما فهو مقسم والمفعول مقسم عليه والامر اقسم بفتح الالف وقطعه
قسما قسمت الارض والميراث وغير ذلك اقسمه قسما فانا قاسم والمفعول مقسوم والامر اقسم
بكسر الالف في الابتداء وان وصلته بكلام قبله او حرف سقطت الالف وقال الفراء لا يكون
لا صلة في اول الكلام ولكنها رد لقوم كفروا بالبعث بعد الموت وبالحشر فقيل لهم ليس
كما تقولون اقسم بهذا البلد جر بالباء والعلامة للجر الياء لانه اسم مبهم والبلد نعت لهذا
ويعني بالبلد ههنا مكة وانت الواو واو الحال وانت رفع بالابتداء والعلامة
للرفع لانه مكني حل خبر الابتداء يقال حل محلا وحرم وحرام لغتان وحل في المكان
اذا نزل فيه يحل حلولا فهو حال والمكان محلول فيه واما قوله ثم ان يحل عليكم غضبي فمعناه
ان يجب ومن قرأ ان يحل بكسر الحاء فمعناه يجب بهذا البلد
جر بالباء الزائدة والبلد نعت لهذا ووالد الواو حرف نسق ووالد جر نسق على البلد ويعني
بالوالد آدم عليه السلم وما ولد في موضع جر نسق على والد والعلامة للجر لانه اسم ناقص
بمعنى الذي ولد فعل ماض وهو صلة ما والمصدر ولد يلد ولادة ولدة فهو والد والمفعول
مولود مثل وعد يعد والاصل يولد ويوعد فسقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة
وحدثني ابو طالب السمرقندي قال صرت الى ابي جعفر الطبري يوم مجلسه وكان يوما مطيرا
فلم يحضر احد فرآني وقد اغتممت فقال والله لا عوضنك منهما فاتك قلت هات
باسنادي قال قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد يعني مكة وانت حل بهذا البلد يعني محمدا صلى
الله عليه ووالد يعني عليا وما ولد يعني الحسن والحسين صلوات الله عليهم فقمت فقبلت رأسه
لقد خلقنا اللام جواب القسم وقد حرف توقع خلقنا فعل ماض والانسان مفعول به وعلامة نصبه فتحة النون
في كبد جر بفي ومعنى في كبد اي في شدة ونصب وتعب آخرون في كبد اي منتصبا لم
يجعل له يمشي على اربع فيتناول الشيء بفيه لا على بطنه لان الله تعالى كرم بني آدم باشياء هذا
والكبد في غير هذا الشيء بمعنى الهواء ايحسب الالف الف التوبيخ في لفظ الاستفهام
يحسب فعل مضارع وفيه لغتان يحسب ويحسب اللغة رسول الله صلى الله عليه الكسر والماضي
حسب بالكسر لا غير والمصدر محسبة ومحسبة وحسبانا وحسبانا ان لن يقدر عليه احد
ان حرف نصب ولن حرف نصب ويقدر نصب بلن اذا اجتمعت بين حرفين عاملين
الغيت احدهما وتعدي المصدر قدر يقدر قدرة وقدرانا ومقدورة ومقدرة ومقدرة
ومقدرة فهو قادر والهاء جر بعلى احد رفع بفعله واحد ههنا الله تعالى واحد في قل هو الله
احد فمعناه واحد وهو الله تعالى وقوله ثم اذ تصعدون ولا تلوون على احد فاحد ههنا النبي
صلى الله عليه وقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى فاحد ههنا ابو بكر الصديق
نزلت هذه في ابي بكر الصديق في عتقه بلالا واحد بمعنى جميع الناس يقول فعل مضارع
فعل ماض والهاء الف قطع لانه رباعي مالا مفعول به نصب لانه
نعت المال لبدا الكثير وهو جمع لبدة ومن قرأ لبدا جعله جمع لبدة وحدثنا احمد عن علي
عن ابي عبيد عن اسمعيل ان ابا جعفر قرأ مالا لبدا جمع لابد مثل راكع وركع وقائل بجمع
على خمسة وثلثين وجها قد امليناه في كتاب الجمل ايحسب الالف للتوبيخ ويحسب فعل
مضارع ان حرف نصب وهي ملغاة ههنا ولم حرف جزم يره جزم بلم وسقطت الالف للجزم والاصل
لم يراه احد رفع بفعله وروي عن الاعمش ان لم يره احد بجزم الهاء فجعل الالف

ونجعل جزم بعد الاستفهام بلم ولم حرف جزم ونجعل [illegible] له جر باللام الزائدة و
مفعول بهما ولسانا نسق بالواو على عينين وشفتين نسق عليه و
هديناه هدى فعل ماض والنون والالف اسم الله تعالى في موضع رفع والهاء مفعول بها و
النجدين مفعول ثان ومعناه عرفناه سبيل الخير والشر وعلامة النصب
في ذلك الياء التي قبل النون فلا اقتحم العقبة لا بمعنى لم معناه فلم يقتحم العقبة كما قال
فلا صدق ولا صلى اي لم يصدق ولم يصل اقتحم فعل ماض والمصدر اقتحم يقتحم اقتحاما
فهو مقتحم العقبة مفعول بها وما ادراك ما تعجب في لفظ الاستفهام وهو رفع بالابتداء
وادراك خبر الابتداء والكاف اسم النبي صلى الله عليه في موضع نصب ما العقبة
ما ابتداء والعقبة خبرها وكل ما في كتاب الله مثل الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة
فكله بلفظ الاستفهام ومعناه تعجب فك رقبة فك فعل ماض ورقبة مفعول بها
يقال فك يفك فكا فهو فاك والمفعول مفكوك في الاسير والرهن ومن قرأ فك رقبة
جعله مصدرا واضافه الى رقبة كما تقول ضرب زيد وضرب زيدا او فك زيد و[illegible]
زيد او اطعم او حرف نسق اطعم فعل ماض نسق على فك والمصدر اطعم يطعم
اطعاما فهو مطعم ومن قرأ او اطعام جعله مصدرا في يوم جر بفي ذي مسغبة ذي
نعت لليوم ومسغبة جر بالاضافة ومعناه ذي مجاعة السغب الجوع وقرأ الحسن في
ذا مسغبة جعل ذا نعتا لاسم محذوف والتقدير او اطعم فقيرا ذا مسغبة يتيما مفعول به
فعند البصريين ينتصب باطعام لان المصدر يعمل عمل الفعل وان كان منونا
والكوفيون يقولون المصدر اذا نون او دخلته الالف واللام تمت له الاسمية وبطل
عمله وانما ينتصب يتيما عندهم بمشتق من هذا والتقدير او اطعام يطعم يتيما ذا
مقربة ذا نعت لليتيم وعلامة النصب الالف ومقربة جر بالاضافة ومقربة مفعلة من
ذا قربى وذا قرابة ولكن اتى به على مفعلة مثل مسغبة كما قال الا المودة في القربى لما كان بعده
فيها حسنى وشورى فاعرف ذلك فان اللفظ قد [illegible] لرؤوس الاي او مسكينا نسق باو على يتيما
والمسكين مفعيل من السكون والمسكنة مفعلة من السكون وقال آخرون الميم في مسكين
اصلية لقولهم قد تمسكن زيد والمسكين اضعف من الفقير لان الفقير من له ادنى شيء كما
قال الشاعر اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد السبد الصوف
واللبد الشعر فاذا قالوا فلان ما له سبد ولا لبد اي ليس له جمال ولا شاة وقال آخرون الفقير
اسوأ حالا من المسكين لان الله تعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين والسفينة قد تساوي جملة
[illegible] ابن قطيب اما السفينة فكانت لمساكين بتشديد السين اي ملاحين سمعت ابن
مجاهد يقول ذلك [illegible] ان ابن قطيب قرأ به ذا متربة ذا نصب نعت للمسكين ومتربة
جر بالاضافة ومعناه قد لصق بالتراب من شدة الفقر ومن ذلك قولهم في الدعاء على الانسان
تربت يداك اي افتقرت حدثني ابن عرفة عن ثعلب قال يقال ترب الرجل اذا افتقر
واترب اذا استغنى ومعناه صار ماله كالتراب كثرة فان سال سائل فقال اذا كان الامر على
ما زعمت فما وجه قول النبي صلى الله عليه للرجل الذي استشاره في التزويج فقال عليك بذات
الدين تربت يداك والنبي لا يدعو على احد من المؤمنين ففي ذلك اجوبة ثلاثة منها جوابان
احدهما ان يكون اراد صلى الله عليه الدعاء الذي لا يراد به الوقوع كقولهم للرجل اذا امدحوه قاتله
الله ما اشعره واخزاه الله ما اعلمه والجواب الثاني ان هذا الكلام مخرجه من النبي صلى الله